

روایات اهلل

حاضرة الدنيا

أرنست هیمنجوای

REWAYAT AL — HILAL
NO . 450 — June 1986



Amly



روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

روايات الهلال

REWAYAT AL - HILAL

مصر عن مؤسسة دار الهلال

العدد ٤٥٠ - يونيه ١٩٨٦ - شوال ١٤٠٦
NO . 450 — June 1986

رئيس مجلس الإدارة: مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير: مصطفى نبيل
سكرتير التحرير: موسى عيد

الإشتراكات

قيمة الإشتراك السنوي (١٢ عدداً) في جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادي وفي بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستان ثلاثة عشر دولاراً أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم عشرون دولاراً بالبريد الجوى والقيمة تسدد مقدماً لفسم الإشتراكات بدار الهلال فى ج م ع نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمير مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسود البريد المسجل على الأسعار الموضحة أعلاه عند الطلب

سعار البيع فى البلاد العربية للأعداد العادية من سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرناً للقرىء فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق س لبنان ١٨٠٠ ق ل الأردن ٥٠٠ فلس الكويت ٤٠٠ فلس العراق ١٦٠٠ فلسا السعودية ٧ ريالات تونس ١٥٠٠ فلساً الخليج ١٢٠٠ فلساً الصومال ١٣٠ بنى لإجوس ١٢٠ بنى عدن ١٤٤ سنتاً لندن ١٥٠ سنتاً ألبانيا ٢٠٠ دراخمة كندا ٥٠٠ سنت البرازيل ٦٠٠ سنت البرازيل ٦٠٠ سنت السودان ٢٥٠ ق سودانى المغرب ١٥٠٠ فرنكا . غزة والضفة ١٥٠٠ ليرة ١٠٠٠ ليرة البقر الشمالية ١٥ ريال انطاليا ٣٠٠٠ ليرة

الطبعة الأولى: ١٩٨٠ - العدد ٤٥٠ - يونيه ١٩٨٦ - شوال ١٤٠٦

الطبعة الثانية: ١٩٨٦ - العدد ٤٥٠ - يونيه ١٩٨٦ - شوال ١٤٠٦

حاضرة الدنيا وقصص أخرى

تقام

أرنست هيمنجواي

ترجمة

ماهر البطوطي



دار الهلال

الغلاف بريشة الفنانة
سميحة حسنين

مقدمة

حياة هنجواى وفنه

بقلم المترجم

لعل أحدا من الروائيين الذين يكتبون بالانجليزية لم يحظ من الشهرة وسعة الانتشار في العصر الحديث قدر ما حظى الكاتب الأمريكى العظيم أرنست هنجواى . فبالإضافة الى المحصول الوافر من الروايات والقصص التى تركها هنجواى وراءه عند مماته فى ١٩٦١ ، فان حياته تشكل جانبا مستقلا له من الأهمية ما لأدبه بالنسبة لقرائه ولدارسيه ، وهذا ما حدا بالنقاد الى الاهتمام بحياته والأحداث الكثيرة التى تزامت فيها قدر اهتمامهم بنصوصه الأدبية . وعلاوة على ذلك فان أدب هنجواى وكتاباتة مغموسة كلها بدم الحياة التى عاشها ، فهو يستمد آدبه من تجارب حياته ، وتدفعه هذه الحياة الى تطوير آدبه ومزجه بتجاربه وقد دفعت الحياة الغريبة التى عاشها هذا الكاتب العظيم بعض النقاد الى الحديث عن الرغبة فى الموت التى تتحكم فى لاوعى هنجواى وأعماله ، وطبقوها على انغماسه الغريب فى الحروب والمعارك وفى رحلات الصيد الخطرة ومصارعات الثيران الدموية . وقالوا أيضا أن هنجواى كان يريد قهر الخوف من الموت ولذلك لم يكن

يجب انتظار الموت بل يبحث عنه في مكمته •

التي جانبه وهو يختال وسط الجنود في مشية عسكرية صارمة • ولكن والدته لم تكن راضية عن تلك التنشئة المبكرة ، وكانت تمد لابنها مشروعات مخالفة بالنسبة لمستقبله ، مما جعلها تعارض والده على طول الخط وتسخط على مايفعله مع ابنهما •• ويبدو أن همنجواى لم يفغر لها بعد ذلك هذا الموقف اطلاقا ، كما يبدو أن ضيقه منها قد انعكس فى كل ما كان يكتبه ويخلفه من الشخصيات النسائية فى رواياته وقصصه •

وفى العاشرة من عمره ، أهداه والده بندقية ، وأهدته والدته آلة شيللو للعزف ، ولكنه أوضح بعد ذلك أنه لم يكن يميل لعزف الموسيقى ، وكان يهرب من دروس العزف ليصطاد السمك ، وكان من نتيجة هذا الشد والجذب للصبي بين عالم والده وعالم والدته أن أصبح همنجواى شابا عاكفا على التفكير ، شديد الحساسية فى نفس الوقت • وقد قال مرة بعد ذلك عن أيام حياته الأولى : « ان أفضل مدرسة للكاتب هى طفولة شقية » وقد تسببت هذه الأيام فى اصابته ببعض «التهتهة الخفيفة» فى كلامه ، لازمت طوال حياته •

وتلقى همنجواى تعليمه فى مدرسة « أوك بارك » ، حيث التحق بفريق كرة القدم بها • وفيها ظهر ميله للكتابة لأول مرة ، فكان يكتب بعض القصص القصيرة على الآلة الكاتبة ، عن تجاربه فى الصيد وعن الهنود الحمر ، وينشرها فى المجلة الأدبية للمدرسة • وقد اشتغل وقت فراغه فى هذه الأيام والتحق بمدرسة لتعليم الملاكمة •

وقد ابتكر همنجواى أسلوبا فريدا فى الكتابة ، يعتمد على التخلص من المحسنات البديعة والتزيينات اللفظية والأطسلوب ويتجه الى طريقة التواضع فى التعبير Understatement والأسلوب البرقى الذى يحاول إيصال التجربة الى القارىء عن طريق التركيز والمباشرة • وبالإضافة الى ظهور همنجواى بهذه الطريقة فى بناء لغته وفى بناء رواياته ، فان له رؤيا خاصة فى الحياة وفى الفن ، اجتهد أن يوصلها إلى قرائه من خلال قصصه ورواياته •

حياته وأعماله الأدبية :

ولد أرنست ميلر همنجواى ، مغامر عصره ، فى يوم ٢١ يوليو ١٨٩٩ ، فى مدينة يطلق عليها عادة اسم عاصمة الطبقة الوسطى وهى « أوك بارك » من ضواحي شيكاغو • وكانت أمه من النساء ذوات النشاط الدينى الفعال ، شغلت وقت فراغها بالعزف فى الكنائس وفى المحافل الدينية • أما أبوه فهو الدكتور كلارنس ادموندز همنجواى ، وكان طبيبا محليا معروفا ، يفضل الذهاب للقنص وصيد السمك فى منزل العائلة الصيفى بجانب خليج « هورتون » على الاشتغال بمهنته وعكف والده منذ صغره على تلقينه فنون الهوايات التى شغف بها هو نفسه ، فأهداه فى عيد ميلاده الثالث قصة للصيد ، كما كان يعلمه فنون الرماية منذ كان فى المهد صبيا • ومما يروى عنه أنه اشترك وهو فى هذه السن فى الاستعراض العسكري فى المدينة ، وسار وقد علق مسدس جده

الضباط الايطاليين الجرحى ، وأطاحت بطاسة ركبته وجرحته في رأسه . وفي مستشفى « ماجيورى » بميلان ، أجروا له سلسلة من العمليات أخرجوا بها ٢٢٧ شظية من ساقه . ولم يخرجوا كل الشظايا رغم ذلك ، فقد أجروا له عملية أخرى عام ١٩٥٩ أخرجوا بها من ساقه شظية أخرى استقرت فيها منذ ذلك الوقت . وفي مستشفى ميلان تعرف على مرضة انجليزية حسناء من مرضات النضيب الأحمر عقد معها علاقة عاطفية ألهمته فيما بعد حبكة روايته المشهورة « وداع للسلاح » . وقد طاف همنجواى بعد شفائه بصفوف القتال على الجبهة ايطالية مرتديا سترة عسكرية أمريكية ليبعث الحساس في قلوب المحاربين ويقص عليهم قصة بطولته في الحرب وكان نتيجة هذا أن أنعمت عليه السلطات الايطالية بالميدالية الفضية للشجاعة العسكرية ووسام الاستحقاق الحربى .

وعاد همنجواى فى ٢١ يناير ١٩١٩ إلى نيويورك واستقبل فيها استقبال الفاتحين ، فقد كان من أوائل العائدين الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الأولى من الأمريكين . ولكن جو بلدته « أوك بارك » بدا له خانقا قاتلا ، خاصة الآن بعد أن ذاق طعم الحرية والاثارة فدفعه ذلك الى الاستقلال بحياته عن والديه ، وعاش وحده فى شيكاغو بعد أن حصل على عمل يقيم به أوده عن طريق كتابة بعض القطع الصحفية لجريدتى « تورتو ديلى ستار » « وتورتو ستار ويكلى » . وكان يقسم وقت فراغه ما بين صالة

وبعد أن حصل على شهادته الثانوية من المدرسة عام ١٩١٧ ، كانت الولايات المتحدة قد دخلت الحرب العالمية الأولى التى اندلعت نيرانها منذ سنوات ثلاث فى أوروبا ، وهجر همنجواى كل مشروعاته بشأن الجامعة وبشأن المستقبل وتطوع فى الجيش ، ولكنه رسب فى الكشف الطبى بسبب عيب كان قد أصاب عينه فى إحدى مباريات الملاكمة . وفشلت محاولات همنجواى فى الالتحاق بأى سلاح من أسلحة الجيش ، وبعدها نجحت مجموعة من الاكاذيب ونقص فى الموظفين ابان الحرب وتفوذ أحد أعمامه فى حصوله على عمل فى صحيفة « كانساس سيتى ستار » التى كانت تعتبر أيامها أكبر مدرسة للصحافة فى الغرب الأمريكى . وقد تعلم فيها كيف يقص الخبر بأسلوب الصحيفة المعروف عنها : الأحذوثة المباشرة المقتضبة وال فقرات القصيرة واللغة القوية . وقد قال همنجواى بعد ذلك عن هذه الفترة من حياته أنه قد تعلم فى هذه الشهور عن الكتابة وعن الصحافة أكثر مما تعلمه فى أى فترة أخرى من فترات حياته . وبعدها قرأ عن حاجة الصليب الأحمر العاجلة للمتطوعين للعمل على الجبهة الايطالية ، فتقدم لهذا العمل وقبل فيه فى أبريل ١٩١٨ كسائق لعربة اسعاف ، وكان أصغر المتطوعين سنا فلم يكن يتجاوز التاسعة عشرة من عمره . وارتحل من نيويورك إلى باريس عن طريق البحر ثم أرسلوا به إلى ميلان حيث عمل فى خط النار . وبعد أسبوع من الأحداث المشيرة ، أصابته قنبلة من مدفع مورتار نمسوى حين كان يحاول إنقاذ أحد

وبعد ذلك أبرقت له الصحيفة بالتوجه الى ايطاليا لتغطية أخبار المؤتمر الاقتصادي في « جنوه » ، وبعدها طار الى القسطنطينية لبعث أخبار أحداث الحرب التركية اليونانية التي استمر أوارها في تلك الأثناء . وفي القسطنطينية شهد فظائع انسحاب الجيش اليوناني من المدن التركية وتقدم الجيوش التركية للاستيلاء على هذه المدن وقد ألهسه هذا الانسحاب الوصف الذي ورد بعد ذلك في مشهد انسحاب من « كابرئو » في « وداع للسلاح » . وبعده عودته من تلك المهمة بقليل طار إلى لوزان لتغطية مؤتمر السلام هناك . وهكذا تحققت حلم هنجواي بأن أصبح مراسلا أمريكيا جوالا في البلاد الأوروبية .

واستدعى هنجواي زوجته هادلي لتلحق به في لوزان . وفي الطريق وقعت لها حادثة مفاجئة ، إذ فقدت جميع مخطوطات القصص التي كان زوجها قد كتبها طوال السنوات الأربع السابقة ، وكانت قد وضعتها كلها في حقيبة حملتها معها إليه . وقد أثر هذا فقدان الأدبي في هنجواي فترة طويلة من حياته ولم ينسه مطلقا . وطار هنجواي مرة أخرى الى ألمانيا لكتابة تحقيق صحفي عن إعادة احتلال « الروهر » بالقوات الألمانية . وفي باريس ، أخرج هنجواي كتابه الأول ، مجموعة من القصص والقصائد بعنوان

« ثلاث قصص قصيرة وعشر قصائد Three short stories and ten Poems »

كما كان يزيد من دخله بالمراهنة على سباق الخيل الذي برع فيه . وبيع من ورائه الكثير من المال . ولكنه اضطر إلى العبودية

الألعاب الرياضية ، والتمرس على فنون الكتابة وفي أثناء رحلة له إلى « ميشيجان » في هذا الوقت ، تعرف على فتاة أمريكية ذات موهبة في العزف على البيانو تدعى « هادلي ريتشاردسون » تزوجها أخيرا في سبتمبر ١٩٢١ . واقترح هنجواي على أصحاب الصحفيتين اللتين يعمل فيهما أن يعينوه مراسلا لهما في باريس ، حيث يوافيههم بمقالاته وقصصه من هناك ، ووافقوا على ذلك . وحمله صدقه شروند أندرسون ، بخطابات توصية الى معارفه الأدبيين في باريس ، أمثال جرتروودشتاين وعزرا باوند ، وتعد سنواته الأولى هذه في باريس من أخصب أيام عمره ، قضاها طوفا في البلاد والمدن الأوروبية ، يعقد الصداقات مع شخصيات الأدب والفن المشهورين وفي باريس تعلم هنجواي التمييز بين الأصيل والمزيف ، بين العبقرية والتصنع ، وتعلم كما قال بنفسه « كيف يكتب القصص بالتطلع الى اللوحات » في متحف اللوكسمبرج في باريس ، وعندما ألح له الرسام بيكاسو عن مصارعات الثيران في مدريد ، صمم هنجواي على خوض هذه التجارب الفريدة ، فشد رحاله على الفور هو وزوجته الى أسبانيا حيث شهد أول عرض لمصارعات الثيران في حياته ، وقضى بها عدة أسابيع قبل أن يعود الى باريس . وكانت هذه نقطة البداية في جبه العريض للبلاد الأسبانية ولمصارعة الثيران الذي لازمه طوال حياته ولم يكده يخلو كتاب من كتبه من أي منها .

الخيال وسباق الدرجات ونجح أخيرا بعد ذلك في نشر كتابه
الثاني وهو مجموعة من القصص القصيرة ظهرت تحت عنوان

« في أيامنا » In our Time

وقد صمم هنجواي على أن ينقل تجربته في الهيام بمصارعة
الثيران إلى رفاقه ، فخرجوا جميعا في عام ١٩٢٥ إلى أسبانيا
لحضور مهرجان « سان فرمين » في ببلونة ، وهو تقليد اتبعه بعد
ذلك طوال حياته . وفي هذه المرة ، تعرفت الجماعة بفتاة انجليزية
سُميت تدعى « ليدى داف تويسدن » وقع أحد أفراد الجماعة وهو
« هارولد لويب » في غرامها وصار يشك في علاقتها بهنجواي
وبأفراد آخرين من الجماعة ، رغم أنها كانت مخطوبة لواحد من
الأثرياء الأمريكيين ولا تخفي علاقاتها بكثير من الأفراد الآخرين .
وطوال أيام هذا المهرجان ومباريات مصارعة الثيران التي شهدتها
الجماعة ، كان أرنست ينحذ حواسه كلها لالتقاط دقائق الأحداث
التي تدور من حوله . وقد دون كل هذا بعد ذلك في روايته

« وتشرق الشمس ثانية » The sun also rises

بعد بدأها في يوم عيد ميلاده السادس والعشرين ، وكتب فيها
عن بلنسية وفي مدريد ثم في باريس وأنها في مدى ستة أسابيع ،
في الفترة التي كان ينتج فيها الرواية ، نشرت روايته الأولى
تحت عنوان « سيول الربيع » The torrents of spring ولكنها لم تلق
نجاحا من القراء ولا من النقاد .

وكانت حياته الزوجية مع هادلي قد اتابها القنوط ، كما شابها

لجريدتي « ستار » و « ستاره بكلي » حين أشرفت زوجته على
وضع طفلها جون وأصرت على أن تتم الولادة في موطنها بالولايات
المتحدة . وبعدها بفترة قضاها في جو من الضيق «والاقلية» ،

استقال من العمل ورحل هو وزوجته وطفله إلى باريس حيث خلغ
عنه أخيرا معوقات الكتابة ونزل إلى الساحة ليحارب معركته في

سبيل الجودة والظهور ككؤلف له قيمته وأصالته . وكانت باريس
إيامها تروج بالكتاب والفنانين الذين يأتون بكل مستحدث

مستطرف ، يفرقون هومهم في الجنس والخمر والسهر طوال
الليل . وقد أسستهم جرترود شتاين بالجيل الضائع ، ولكن

هنجواي كان سثل بينه شخصا مختلفا ، فقد أضفت عليه جديته
بشأن عمله في الكتابة وتجاربه في الحرب صفة خاصة من النضج

وانضم في هذا الوقت الى الجماعة التي كانت تلتقي في مكتبه
شكسبير التي تملكها شابة أمريكية تدعى « سيلفيا بيتش » في

الحي اللاتيني ، وتعرف هناك بالمشهورين من أمثال جيس جويس
وجون دوس باسوس وارشبالد ماكليش ، بالإضافة إلى جرترود

شتاين وعزرا باوند . وكانوا يعقدون الندوات التي يناقشون فيها
مسائل الفن والأدب وقضاياها .

ومرت بهنجواي فترة قاتمة في أيامه تلك في باريس ، فكانت
المجلات ترفض قصصه الواحدة بعد الأخرى ، ولم يكن يجد

ما يقيم أوده هو وزوجته . ولم يفت هذا من عضده ، بل لم
يعوقه عن الاستمتاع بكل ما كان يستمتع به من صيد ومن سباق

حين أشرفت زوجته الجديدة على الوضع ، فأقام فترة في « كى وست » ، ثم نزع الي « كانساس سيتى » حيث دخلت بولين المستشفى . ومرت الزوجة بتجربة عصبية إذ تعسرت الولادة وأشرفت على الموت ، واضطروا الى اجراء عملية قيصرية لاجراج الوليد الجديد من بطنها ، وسماه « باتريك » . ومرت بهمنجواى تجربة أعصب وهو ينتظر خارج المستشفى نتيجة العملية . وقد ظهرت هذه التجربة بعد ذلك فى تفصيل شديد فى الرواية الجديدة التى كان يكتبها آنذاك « وداع للسلاح » A farewell to arms . كذلك المت بهمنجواى أزمة روحية فى هذه الفترة نتيجة لوصول الأبناء إليه باتتجار أبيه الطبيب بمسدس الجد الذى كان أرست يحمله وهو طفل ويسير به مختالا فى الاستعراض العسكرى فى « أوك بارك » .

وتولدت أقدام همنجواى فى عالم الأدب بنجاح « وداع للسلاح » التى نشرت فى سبتمبر ١٩٢٩ . وعكف بعدها على كتابة بعض قصصه القصيرة ، أشهرها قصص القتل The killers « اليوم جمعة » To day is friday الهنديان The two Indians

ثم قضى الصيف التالى فى جولة فى أسبانيا فى ركب المتساور المشهور سيدنى فرانكلين ، خرج منها آخر الأمر بكتاب شامل مشهور عن مصارعة الثيران ، وكان بذلك أول كاتب يقدم هذا الفن العظيم للعالم انجلوسكسونى ، بكتابه الذى يشبه دائرة معارف عن مصارعة الثيران « موت فى الأصل » Death is the Afternoon

كثير من الشجارات التى نشأت من غيرة هادلى من علاقة أرست بالمرضة الانجليزية التى تعرف عليها فى مستشفى ميلان ، والتى استمرت بعد ذلك عن طريق الخطابات ، وعلاقته المستحدثة مع « ليدى داف تويسدن » واتهى به الأمر أن انفصل عن هادى ، واتخذ له مسكنا يقيم فيه وحده ، ثم انتقل إلى نيويورك مع امرأة من معارفه مال اليها تدعى « بولين بيفير » الكاتبة الصحفية بمجلة « فوج » النسائية . واستمر همنجواى يعمل فى نيويورك فى تنقيح مخطوطة « وتشرق الشمس ثانية » ، ودفع بها أخيرا إلى الناشر وظهرت فى أكتوبر ١٩٢٦ ونالت الرواية نجاحا ساحقا فور ظهورها ، وأرست دعامة همنجواى كواحد من أعلام الأدب الأمريكى البارزين وجذب انتباه الجماهير ككاتب وكانسان . وقد دفع هذا النجاح الناشر « سكينر » الى اخراج كتاب قصص قصيرة له به أربع قصص جديدة علاوة على مختارات من قصصه القصيرة التى نشرت سابقا ، تحت عنوان « رجال بلا نساء » Men without women

وحصل همنجواى على الطلاق من هادلى فى عام ١٩٢٧ ، وتزوج بعدها بحييته الجديدة بولين . وقد اضطر لاتمام هذا الزواج أن تتحول من المذهب البروتستانتى الى الكاثوليكية لأن بولين كانت من هذا المذهب . وبدأ بعد ذلك مباشرة فى الاعداد لأقرب المشروعات حيا لفؤاده ، وهو كتابة رواية عن تجاربه فى الحرب العالمية الأولى .

ومرة أخرى ، اضطر همنجواى إلى العودة إلى الولايات المتحدة

وقضى هنجواى فترة طويلة فى منزله فى « كى وست » ،
 وابتاع يختا للصيد أسماه « بيلار » استخدمه فى رحلات صيد
 ناجحة . وكان يبحث عن آفاق جديد ييسط عليها ظل خياله ،
 ووجد أنه لن يجد متعة بعد ذلك فى مناطق أسبانيا وباريس الا
 بعد أن يجدها بشاهدة الجانب الآخر من العالم . وعلى هذا
 فى أواخر عام ١٩٣٣ ، شد رحاله هو وزوجته وأحد أصدقائه
 الى أفريقيا ، مصطحبين مرشدا أصبح بعدها صديقا حسيما لهنجواى
 هو « فيليب برسيغال » . وطاف هنجواى فى هذه الرحلة بمباسة
 وكينيا وأوغندا ، ومر بتجارب هامة مركزة فى كيفية صيد الأسود
 وانسور والقيلة وخاصة وحيد القرن . وعاد الى « كى وست » فى
 ربيع ١٩٤٣ وذهنه محمل بذكرياته الافريقية . ومرت به هناك تجربة
 صيد فريدة اختزنها فى ذاكرته الى أن حانت لحظة إخراجها فى عمل
 فى متكامل . فى أثناء جولة له على قاربه بيلار للصيد ، اشتبكت
 قصبته بسكة تونة ضخمة قال من شاهدها أنها تربو على الألف
 رطل ، وظل يطاردها قرابة يوم كامل وهو يجاهد ألا تفلت منه .
 وتمكن أخيرا من صيدها وجرها إلى جانب قاربه . ولكن بعد أن
 بذل هذا المجهود الجبار الذى يفوق الطاقة فى صيدها ، هجمت
 عليها أسماك القرش ونهشت لحمها وتركت له سلسلتها الفخرية
 ورأسها تسبح إلى جانب القارب . وكان يشبع النشاط والمغامرات
 فى حياته برحلات صيد من هذا النوع وبرحلات سريعة بقاربه
 عبر الخليج إلى كوبا . ولكن القدر كان يخيه له مغامرة جديدة

من نوع المخاطرة التى كادت تودى بحياته فى الحرب العالمية
 الأولى . فى يوليو من عام ١٩٣٦ ، هرب أحد الضباط الأسبان
 السابقين من منفاه فى جزيرة الكناريس ونجح فى تدبير انقلاب
 ضد حكومة الجمهوريين فى مدريد ، وانحاز تسعون فى المائة من
 الجيش الأسباني إلى جانبه مما أدى إلى اندلاع نيران حرب أهلية
 مدمرة فى تلك البلاد التى أحبها هنجواى كل الحب . وقد ساندت
 القوى الفاشستية فى كل من إيطاليا وألمانيا الضابط فرانكو ، بينما
 انضمت الى الجمهوريين صفوف الشيوعيين والقوضويين
 والاشتراكيين والنازيين وغيرها من الجوانب الثورية . وانحاز
 هنجواى إلى جانب الجمهوريين ، وطاف فى كل مكان فى أمريكا
 يحاول جمع التبرعات لمساعدتهم وامدادهم بما يحتاجونه من سلاح
 ثم سافر هو بنفسه الى مدريد ليغضى أنباء الحرب الأهلية
 وليكون الى جانب أصدقائه الجمهوريين وقبل أن يطير للجهة أعد

رواية جديدة للنشر وأسمائها « الغنى والاملاق To Have

and Have not » وخاض هنجواى فى طريقه إلى ميدان القتال
 أهوالا عجيبة وكاد أن يقتل عديدا من المرات . وكان يعود أحيانا
 الى الولايات المتحدة لجمع مزيد من الأموال لمساعدة الجمهوريين
 ثم يطير ثانية الى ميدان القتال . وفى إحدى المرات التى عاد فيها
 الى الولايات المتحدة نشر مسرحية كان يعمل فيها فى مدريد وهى
 « الطابور الخامس » The fifth column وكانت هذه
 المسرحية الوحيدة التى كتبها هنجواى هى العمل الوحيد الذى

أجمع كل النقاد على فضله التام .

وحرص هنجواى على أن يكون فى وسط المارك التى تدور بين الفاشيين والجمهوريين ، وكمن مرة تحطم زجاج نافذة العرفه التى يقم فيها نتيجة قبلة تقع على مقربة منه ، ولكنه كان يتحمل كل ذلك ويخترن فى ذهنه تجارب الأهوال التى يراها والتى اقترنت بهذه الحرب البشعة التى مات فى العام الأول لها ما يزيد على نصف مليون أسباني . وتعرف فى مدريد على مراسلة صحفية شقراء صغيرة السن تدعى مارتا جهورن كانت قد برزت فى عملها ونجحت فيه نجاحا ملحوظا وتوثقت عرى المودة بينهما فى هذه الفترة بحيث لم يكونا يكادان يفترقان .

ولما انتهت الحرب الأهلية الأسبانية باندحار الجمهوريين ودخول فرانكو مدريد فى مارس ١٩٣٩ ، عاد هنجواى الى بلاده واستقر فى منطقة جديدة اكتشف فيها أحسن مناطق الانزلاق على الجليد وهى منطقة « سان فالى » وهناك ، كتب ٢٤ فصلا من فصول رواية جديدة أعدها عن الحرب الأهلية الأسبانية . وكانت رواية « لمن تدق الأجراس » For whom the Bell Tolls

أحسن وأشهر رواية كتبها هنجواى باعتراف النقاد . وقد قال عنها مؤلفها : « إننى لم أضع فيها الحرب الأهلية فحسب ، بل وضعت فيها كل شئ ، تعلمته عن أسبانيا طوال ثمانية عشر عاما » . واهدى هنجواى الرواية التى ظهرت فى أكتوبر ١٩٤٠ الى مارتا جهورن ، وكان قد اتفق معها على الزواج بعد أن وافقت بولين على

الطلاق منه بشرط أن تحتفظ بولديها منه وبمتزلهما فى « كى وست » . ولما وافق هنجواى على هذه الشروط ، قام بشراء ضيعة له فى كوبا بقرية تدعى « سان فرانسيسكو دى بولا » ، وسمى الضيعة « الفينكا فيخيا » « أى الضيعة الخارجية » وتتكون من منزلين وبرج للمراقبة تحيط بهم حديقة واسعة بها حوض ساحة وملعب للتنس . وقد جعل من كوبا مقرا لقاربه البيلا . وبعد طلاق هنجواى من بولين بسبعة عشر يوما ، تزوج مارتا ، وكان فى الثانية والأربعين من عمره بينما كانت مارتا فى الثامنة والعشرين . وطارا بعد الزواج الى الشرق الأقصى ليعطيا أبناء الحرب اليابانية الصينية لصالح صحيفتين مختلفتين . وكانت رحلة شاقة إلى مناطق القتال . وقضيا أربعة شهور فى الصين ، لمس هنجواى فيها مدى الصدع الذى حدث بين شيانج كاي شيك وبين الشيوعيين الصينيين وحذر من نتائج المرتبة على مستقبل الصين . وبعد شهر العسل هذا الذى استطل الى أربعة شهور وسط جبهة القتال ، عاد العروسان إلى ضيعة الزوج فى كوبا حيث اعترم هنجواى العزوف عن خوض غمار الحروب بعد ذلك ، رغم أن بلاده كانت قد دخلتها رسميا آنذاك بمسد حادثة بيرل هاربور المشهورة .

وكان هذا هو الوقت الذى بدأ هنجواى فيه يطلق لحيته التى اشتهر بها ، وكان يزعم أنه اضطر الى ذلك من جراء مرض جلدى أصاب وجهه وجعل من حلقة ذقنه أمرا عسيرا .

وبدأت زوجته الجديدة تشعر بالملل ، ووجدت أن مثل هذا الزواج لن يتفق مع طموحها الواسع فالتقدم في عملها الصحفي ، فكان أن طارت بمفردها إلى أوروبا لتغطي أبناء الحرب العالمية لصالح مجلة كولير . وبعد سفرها بستة أشهر طار هنجواي الى خطوط القتال في أوروبا ليوافى مجلة كولير هو الآخر بالتحقيقات الصحفية عن الحرب ولكنه لم يكن مع زوجته ، بل قضى معظم وقته مع مراسلة صحفية تدعى « ماري ولش » وقد اشترك هنجواي في القتال فعلا على الجبهة الفرنسية حين كان الحلفاء يعدون العدة للغزو النورماندي ، وكون فرقة من الفدائيين ترأسهم وكانوا ينادونه بلقب « بابا هنجواي » ، وقد شاعت هذه التسمية بعد ذلك بين أصدقائه ومحبيه . وكانت هذه الفرقة هي أول جنود من صف الحلفاء تدخل باريس ، وكان أول شيء فعله هنجواي بعد دخوله العاصمة الفرنسية أن حرر فندقه الأثيري « الريتز » ، وعب من خموره المعتقة . وقد حوكم هنجواي أمام محكمة عسكرية بعد ذلك لتخطيه حدود قوانين المراسلين الصحفيين باشتراكه الفعلي في القتال ولكن لم يتقدم أحد للشهادة على تلك الجريمة ، فسقطت عنه ، كما منح ميدالية برونزية تقديرا لشجاعته .

وبعد الحرب ، وفي أكتوبر ١٩٤٥ ، حصلت مارتا جلهورن على الطلاق من هنجواي ، لم يعارض في منحها اياه : وعاد إلى فينكا فينخيا بكوبا مع « ماري ولش » ، التي كان يدعوها دوما « مس ماري » ، وقد تزوجها هنجواي أخيرا في هاغانا في ١٩٤٦ ، وكانت

مس ماري بهذا رابع زيجة له ، وأحبا إلى قلبه باعترافه فيما بعد وقد عملت زوجته الجديدة على ارضائه كلما سنحت لها الفرصة لذلك ، فكانت تشاركه حبه للصيد والرحلات وشرب النبيذ ، وتهتم بأدويته وأدواته ، كما كانت مدبرة منزل وطاهية ماهرة في نفس الوقت . . وقضى هنجواي عدة سنوات من الاستقرار في فينكا فينخيا كتب خلالها كتابه عن الحرب الذي سماه « عبر

النهر وبين الأشجار Across the river and into the trees

وقد هاجمه النقاد بمنف على هذه الرواية التي جاءت مختلفة اختلافا بينا عن أسلوب هنجواي المعتاد في كتبه . وقد أثار النقد الجارح الذي كتبه النقاد على هذه الرواية حفيظة هنجواي وشرع في الاعداد لعمل كبير يتحداهم به . وظهر هذا العمل بعد ذلك مسأ كان قد اختزنه في ذهنه من تجارب حدثت في الصيد على شاطئ كوبا وغيره . وكانت رواية « العجوز والبحر » The Old man and the Sea التي نجحت على الفور وقابلها النقاد بترحاب عظيم ، وقد نالت الرواية جائزة بوليتزر عام ١٩٥٣ وجائزة نوبل للاداب عام ١٩٥٤ ، وجعلت من هنجواي أعظم كاتب أمريكي في زمانه .

ولكن انهماك هنجواي في العمل والكتابة ابان هذه السنوات لم يمنعه من القيام بالرحلات التي يعجبها ، فجال في ايطاليا ، وعاد ثانية إلى أسبانيا بعد أن سمحت له السلطات بذلك ، وشهد مصارعات الثيران مرة أخرى وطاف بسارح شبابه فيها وفي الأماكن

التي كتب عنها أحداث روايته « وتشرق الشمس ثانية » • وحن ثانية الى أفريقيا ، فاصطحب مس ماري في رحلة صيد الى أفريقيا مولتها مجلة « لوك » • وكانت الرحلة موفقة في قسمها الأول ، فطاف همنجواي وماري في أدغال كينيا وتوجها مرة إلى الكونغو • ولكن حدث أن سقطت بهم الطائرة التي كانت تقلهم فوق شلالات « مورشيون » ونجا من فيها بأعجوبة • وقضوا ليلتهم بين الوحوش الهائلة إلى أن أنقذهم قارب الاستطلاع الذي يجوب هذه المنطقة • وفي هذه الأثناء ، طيرت وكالات الأنباء خبر فقدان همنجواي ، وصدرت الصحف وفيها نعي السكاتب الكبير وهز الوثائق من وجود رغبة خفية في الموت لمدي همنجواي رؤوسهم في عرفان •

وجاءت طائرة لتقل آل همنجواي بعد الحادثة الى « عنتيبي » ولكن سوء الحظ لازمهم ، فاصطدمت بالأرض وشبت فيها النيران وقد سببت هذه الحادثة إصابات خطيرة لهمنجواي في السكتين والكبد وحرقا في الرأس والساعدين والساقين لازمته آثارها بقية حياته •

وعاد همنجواي بعد رحلته المشئومة تلك الى « فينكا فخيا » مع مس ماري • ووصته الأبناء بعدها من « استكملهم » بقرار الأكاديمية السويدية منحه جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٥٥ : لسيطرته القوية على أسلوب فن الراية ، التي تبنت أخيراً في « المعجوز والبحر » • وقد قبل همنجواي الجائزة شاكرًا وأن اعتذر عن عدم

استطاعته الذهاب الى السويد لحضور حفل استلامها ، وأرسل خطاباً ألقاه نيابة عنه هناك سفير الولايات المتحدة في السويد •

وقد تسلم همنجواي مبلغ ٣٦ ألف دولار قيمة الجائزة ، ثم تعاقد مع « هوليوود » على تصوير فيلم عن القصة وحصل من ذلك على مبلغ ربع مليون دولار بالإضافة الى ثلث الأرباح عن حقوقه من الفيلم • وكان ذلك هو الفيلم الوحيد الذي اشترك همنجواي في اعداده واختار كاتب السيناريو له ومثله أيضا • ونفى عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٠ طاف همنجواي مرة أخرى بأسبانيا إبان مواسم مصارعة الثيران في ركب المتادور المشهور « أنطونيو أوردونييت » ، وشهد المباريات الميته التي كان يعقدها مع المصارع « لويس ميغيل » في منافسة دامية • وقد كتب همنجواي بعدها تحقيقاً صحفياً عن هذه المباريات والمنافسات لمجلة « لايف » ،

نشر تحت عنوان « الصيف الخطير » The dangerous

summer • وقد لاحقته أسطورة الموت مرة أخرى وهو في « مالتة » بأسبانيا ، اذ صدرت إشاعة قوية تفيد وفاته هناك • وكان كل ماقله همنجواي حين سمع تلك الاشاعة أن قال وهو يرفع كأسه ويشرب : « إن المرء يحيا في أسبانيا ولا يموت فيها » •

وحين عاد همنجواي في أواخر عام ١٩٦٠ إلى منزله بكيثشوم في ولاية « أيداهو » ، بدأ الأصدقاء المقربون منه يلاحظون عليه تغيراً كبيراً • كان المرح والانطلاق قد زابلاه ، وبدأت تهاجمه

الشكوك والريب في استنوايه مكاتبي وفي مستقبله في مهنته ، كما بدأ يجد صعوبة وثقلا في الكتابة . وسر ذلك أنه كان قد تعود أن يعيش على مستوى معين من القوة والنشاط والاقدام في كل شيء ، في ممارسة الرياضة ، وفي الصيد ، وفي الكتابة وفي الشراب ، وفي الرحلات ، وفي كل أوجه الحياة ، فلما بدأت هذه القوة تضعف فيه ، فقد الثقة في نفسه وفي فنه .

وخاتمه أعصابه أخيرا ، واختلطت عليه الحقيقة والوهم ، فبدأ يتصور أن السلطات تطارده بتهمة اغواء القصر ، وأن البوليس الفدرالي يتبعه ليثبت عليه الجريمة ، كما كان يراقب البنك الذي يودع فيه أمواله ، ويتابه القلق حين يرى الموظفين يعملون هناك ليلا ليقانه أنهم مدفوعون من قبل البوليس الفدرالي لمراجعة حساباته لاثبات أنه تهرب من دفع الضرائب والتبض عليه وزجه في السجن لذلك السبب . ولما تفاقمت حالته وكثر ترديده عزمه على أن يقتل نفسه بعد أن توهم عجزه عن الكتابة ، لم يستطع المقربون منه أن يتجاهلوا حقيقة ما أصابه ودفع الخوف زوجته وأصدقائه إلى العمل ، فأدخلوه عيادة مايو May clinic تحت اسم مستعار لكي يعالج من الارهاق العصبى . ووضع هناك تحت اشراف مستر ، وتلقى عدة جلسات من الصدمات الكهربائية ، ولكن كل ذلك لم يفده كثيرا ، فبعد أن خرج من العيادة وتساءل الجميع بتحسّن حالته ، فوجئت زوجته ماري صباح أحد الأيام بطلقة تفجير في الطابق السفلى ، فهرعت إلى أسفل لتجد

هنجواى وقد أطلق النار على رأسه من بندقيته وقد قالت ماري مصحفين أن طلقة قد خرجت بطريق الخطأ بينما كان هنجواى نظف البندقية فقتلته على الفور . ثم تجلت حقيقة ما حدث بعد ذلك في وقائع كتاب « بابا هنجواى » الذى كتبه واحد من ألبسق سعداء هنجواى به وهو « اد هوتشتر » ، وصف فيه ضمن وصفه الأحداث الأخيرة في حياة هنجواى والمحاولات التى بذلها لتتحرر باطلاق الرصاص على نفسه وباللقاء نفسه من الطائرة التى كانت تقله الى عيادة مايو ، إلى أن نجحت محاولته الأخيرة تضى على نفسه في النهاية .

هكذا لاقى هنجواى الموت الذى طالما كتب عنه ودارت معظم آياته وقصصه حوله .

حاضرة الدنيا



حاضرة الدنيا

تخر مدريد بفتيان يحملون اسم « باكو » ، وهو تصغير اسم « فرانسيسكو » . وثمة مزحة أسبانية تحكى أن أبا نزل فى مدريد ونشر اعلانا فى الأعمدة الخاصة بجريدة « الليبرال » يقول « الى باكو ، قابلنى فى فندق موتاناا ظهر يوم الثلاثاء . غفرت لك كل شئ » وبعدها ، تطلب الأمر استدعاء فرقة من قوات الشرطة لتفريق الشائعات شاب الذين حضروا استجابة للاعلان . أما « باكو » بطل قصتنا هذه ، الذى يعمل ساقيا فى خان « اللواركا » ، فلم يكن له أب ليغفر له ، كما أنه لم يرتكب ما يغفره له الأب . له أختان تكبرانه سنا ، تعمل كلتاها خادمة بالخان ، وقد عثرتا على هذا العمل بفضل إحدى خادمت الخان السابقات التى أتت من نفس بلدة الأختين وأثبتت جدارتها وأماتتها فأكسبت بذلك بلدتها وأهل بلدتها سمعة طيبة . وقد دفعت الأختان ثمن تذكرة السفر لشقيقتهما الى مدريد ومهدتا له سبيل العمل ساقيا تحت التمرين . كان « باكو » من قرية من أعمال مقاطعة « اكستريمدورا » ، تسودها أحوال معيشة بدائية للغاية ،

ومنها ندرة الطعام والجهل بوسائل الراحة الحديثة ، وكان العمل فيها شاقا منذ بدأ يعنى ماحوله من أشياء .

كان قنّى حسن البنية ، ذا شعر فاحم السواد متموج إلى حد ما ، وبشرة تحسده عليها أختاه ، وابتسامة طويلة صافية . كان نشيطا يؤدي عمله بهارة ، ودودا تجاه أخته اللتين تتسمان بظواهر الجمال والصرافة ، وقد أحب مدريد التي بدت له كمعادته مكانا قصى المنال . وأحب عمله الذى بدأ له غاية فى الجمال والرومانسية ، وهو يياشره تحت الأضواء البراقة فى ملابسه البيضاء الخاصة بالسهرة ، والطعام الوفير فى المطبخ .

كان هناك مايقرب من ثمان نزلاء الى اثنتى عشر نازلا قد اعتادوا الإقامة فى الخان والأكل فى صالة الطعام ، ولكن «باكو» - وهو أصغر ثلاثة سقاة يخدمون على الموائد - لم يكن يشعر شعورا حقيقيا بأحد من الموجودين سوى مصارعى الثيران .

وكان عدد من مصارعى الثيران من الدرجة الثانية يعيشون فى ذلك الخان ، لأن موقعه فى « شارع خيرونيمو » كان مناسباً ، والطعام فيه ممتازا ، وأجر المبيت والأكل رخيصة . ومن المفيد لمصارع الثيران الحفاظ على المظاهر ، إن لم يكن مظهر الثراء فليكن مظهر الاحترام على الأقل ، لأنه فى أسبانيا تعلق قيمة النسق والهيبية على قيمة الشجاعة فى نظر الناس ، ولذلك كان المصارعون ينزلون فى « اللواركا » حتى ينتهى آخر قرش يملكونه . وليس هناك مايبث أن أى مصارع للثيران قد ترك « اللواركا » إلى أى

خان أفضل أو أكثر منه بذخا ، لأنه لا يمكن لمصارع ثيران من الدرجة الثانية أن يرتقى إلى الدرجة الأولى ، أما النزول الى مستوى أقل من « اللواركا » فكان مألوفاً كثيراً الوقوع ، فقد كان بوسع أى امرئ - مادام يعمل فى أى شئ كان - أن ينزل فى « اللواركا » . ولم تكن فاتورة الحساب تقدم الى النزول المالم يطلبها ، الى أن تدرك مديرة الخان أن الحالة ميئوس منها .

فى ذلك الوقت ، كان بالخان ثلاثة مصارعين ، واثنتان من فرسان المصارعة البارعين ، وراشقى سهام ممتاز . وكان « اللواركا » مكانا باذخا بالنسبة لفرسان المصارعة وراشقى السهام الوافدين من « اشبيلية » يبحثون عن سكن مع أسرهم خلال فصل الربيع ، إلا أن أجرهم كان كبيرا ، ولهم عمل ثابت مع مصارعين مثقلين بمقود عمل كثيرة خلال الموسم القادم . ولاشك أن دخل كل من هؤلاء الثلاثة « الملازمين » سيفوق دخل أى من المصارعين الثلاثة الآخرين . كان مصارع من المصارعين الثلاثة مريضا ويحاول اخفاء مرضه ، والآخر قد ولت أيام شهرته القصيرة ككل شئ مستحدث وكان ثالثهم جباناً .

وكان العجبان شجاعا يوما ما الى درجة غير عادية وماهرا للغاية ، الى أن أصابه قرن ثور قاس عنيف بجرح فى أسفل بطنه فى بداية موسم الأول كمصارع كامل الأهلية ، وكان لايزال عالقا به بعض عاداته التى تعود إلى أيام نجاحه . كان مرحا الى حد التطرف ، ضحك دوما بسبب وبلا سبب . وكان فى أيام نجاحه مدمنا على

وجود اسمه في الاعلانات الآن يجذب أى امرىء إلى حلبة
المصارعة . وكان الشيء الجديد فيه أنه قصير جدا حتى أنه لا يكاد
يرى ما وراء كاهل الثور . غير أنه كان هناك عدد آخر من
المصارعين قصار القامة ، ولم ينجح هو فى فرض نفسه على
مزاج الجمهور .

أما فارسا المصارعة ، فكان أحدهما نحيفا ذا وجه كوجه الصقر ،
إمدادى الشعر ، خفيف البنية ، ذا ذراعين وساقين فى صلابة الحديد ،
يرتدى أهدية رعاة ، ويشرب حتى الثمالة كل مساء ، محدقا فى
كل امرأة فى الخان فى وجد وهيام . أما الآخر فكان ضخما ، أسمر
الوجه ، وسيم الشكل ، ذا شعر أسود كالهنود ويدين كبيرتين .
كان كل منهما فارس مصارعة عظيما ، رغم ما قيل عن الأول من
فقدانه الكثير من قدرته بسبب الشراب والتبذل ، وما قيل عن
الثانى أنه صعب المراس مبال إلى الشجار حتى لا يكاد يستمر فى
العمل مع أى مصارع أكثر من فصل واحد فى الموسم كله .

وكان راسق السهام رجلا فى أواسط العمر ، سنجابى اللون ،
مرير الحركة رغم تقدمه فى العمر ، وكان يبدو إذ يجلس إلى
المائدة رجل أعمال على شىء من سر الحال . وكانت قدماء لانزالان
صالحتين للعمل فى هذا الموسم ، وكان من الذكاء والخبرة بمكان
حتى أن باستطاعته أن يعمل بانتظام حين تذهب السنون بصلابتها .
ولن يكون ثمة فرق حين تذهب سرعة قدميه عن الآن سوى أنه

تدبير المقابل لأصدقائه ، ولكنه ترك تلك العادة الآن ، فمن
المؤكد أنه لم يعد يشعر ببيل اليها . وكان هذا المصارع ذا وجه
ذكى صريح ، وكانت تصرفاته يشوبها شىء من الادعاء .

وكان المصارع المريض حريصا على اخفاء مايدل على مرضه ،
ويحرص على أن يتذوق كل صنف من أصناف الطعام التى تقدم
على المائدة . وكانت لديه مجموعة كبيرة من المناديل يغسلها
ويكويها بنفسه فى حجرته . وقد بدأ أخيرا فى بيع حلل المصارعة
التي يحوزها ، فباع واحدة منها بشن بخن قبل عيد الميلاد ،
وثانية فى الأسبوع الأول من إبريل . كانت حللا باذخة ، طالما
اعتنى بها . وكانت لديه واحدة أخرى باقية . وقبل أن يصيبه
المرض ، كان عمله يبشر بالخير كمصارع ، حتى ولو من ناحية
الاثارة . ورغم أنه لا يعرف القراءة ، فقد كان يحتفظ بقصاصات
صحف تقول عنه أنه خلال ظهوره لأول مرة فى مدريد كان أحسن
من المصارع الشهير « بلونتى » . كان يتناول طعامه وحيدا على
مائدة صغيرة ولا يكاد يرفع عينيه الى ما أمامه .

وكان المصارع الذى كانت طريقته حدثا - يوما ما ، قصيرا
جدا ، أسمر اللون ، بالغ الرزاة . وكان يتناول طعامه أيضا على
مائدة منفصلة ، نادرا ما يتسم ، ولا يضحك أبدا . كان من « بلد
الوليد » حيث يسود الناس الجد . وكان مصارعا ماهرا ، غير أن
طريقته قد أصبحت قديمة حتى قبل أن ينجح فى اجتذاب حب
الجمهور عن طريق مزايه من الشجاعة والقدرة والرصانة ، ولم يعد

سيكون خائفاً على الدوام بينما هو الآن هادئ واثق من نفسه في
الحلبة وفي خارجها .

وفي هذه الليلة ، كان الجميع قد غادروا غرفة الطعام ما عدا
الفارس ذا وجه الصقر الذي يفرط في الشراب ، ودلال الساعات
ذا الوجه الذي ينم عن مكان نشأته ، والذي يعمل متنقلاً في
مهرجانات أسبانيا وأعيادها ، وكان يفرط في الشراب هو الآخر ،
وقسين من جليقية جلسا الى مائدة في الزاوية يشربان في سعة ان
لم يكن في افراط . وفي ذلك الزمان ، كان النيبيذ داخلًا في حساب
الاقامة في « اللواركا » . وكان الساقيان قد جلبا لتوهما زجاجات
جديدة من « الفالدينياس » إلى مائدة الدلال ، ثم إلى مائدة
الفارس ، وأخيرا إلى مائدة القسين .

وقف السقاة الثلاثة في نهاية الحجرة ، وكانت القاعدة المتبعة
في ذلك الخان أن يبقوا في الخدمة حتى ينهض الزبائن من الموائد
التي تدخل خدمتها في نطاق عمل كل منهم ، غير أن ذلك الذي
كان يقوم على مائدة القسين كان مرتبطاً بموعد لحضور اجتماع
نقابة « الفوضيين » ، ووافق « باكو » على أن يحل محله في
خدمة تلك المائدة .

وفي الطابق العلوى ، كان المصارع المريض يرقد وحيداً على
فراشه ووجهه إلى أسفل . وجلس المصارع الذي لم يعد حدثاً ينظر
من النافذة مستعداً للخروج إلى المقهى ، بينما كانت أخت « باكو »
الكبرى في حجرة المصارع الثالث الجبان ، وكان يحاول إقناعها

بالتقيام بشيء ترفضه وهي تضحك . كان يقول لها : « هيا أيتها
المتوحشة الصغيرة » .

وقالت الأخت : كلا ، لماذا أفعل ذلك ؟

— من أجلى .

— لقد أكلت وتريد الآن أن تحلى بي .

— مرة واحدة ، ما الضرر في ذلك .

— دعنى ، قلت لك دعنى .

— إنه أمر بسيط للغاية .

قلت لك دعنى .

وفي أسفل ، في حجرة الطعام ، قال الساقى الطويل الذى قات
موعد انتهائه من العمل : « انظر إلى هذه الخنازير السوداء وهي
تشرّب » .

فقال الساقى الثانى : ليس هكذا يصح الحديث . إنهم زبائن
لطاف لا يفرطون في الشراب .

فقال الطويل : هذه طريقة حسنة للحديث بالنسبة لى ، فهنا
توجد لعتنا أسبانيا الاثنان : المصارعون والقسس .

وقال الثانى : ولكن ليس الموضوع موضوع مصارع معين أو
قس معين بالذات .

فقال الساقى الطويل . أبدا ، لا يمكنك أن تهاجم الطبقة الا
عن طريق الفرد . من الضرورى أن تقتل المصارعين الأفراد
والقسس الأفراد جميعهم ، وعندئذ لن يوجد أحد منهم .

وقال الساقى الآخر : وفر هذا إلى حين الاجتماع .
قال الساقى الطويل : انظر إلى وحشية مدريد ، الساعة الآن
الحادية عشرة والنصف ، ولا يزال هؤلاء يعبون الشراب .
فقال الساقى الآخر : إنهم لم يبدأوا الأكل إلا فى العاشرة ،
وكما تعرف - هناك أصناف كثيرة من الطعام ، وهذا النيذ
رخيص الثمن ، وقد دفعوا ثمنه . إنه ليس شديد المفعول .
وتساءل الساقى الطويل : كيف يمكن أن ينجح تضامن العمال وهناك
أغنياء مثلك !

فقال الساقى الآخر الذى كان يناهز الخمسين : لقد عملت طوال
عمري ، ويجب على أن أعمل ما تبقى لى من العمر . إني لا أشكو
من العمل ، فالعمل هو الشيء الطبيعي .

- أجل ، ولكن الافتقار إلى العمل يقتل المرء .

فقال الساقى الآخر : لقد عملت على الدوام . اذهب الى
اجتماعك ، فلا ضرورة هناك لبقائك .

فقال الساقى الطويل : انك زميل طيب ، ولكنك تفتقر الى
الايمان بعقيدة .

فقال الساقى المعجوز : من الأفضل الافتقار إلى ذلك عن
الافتقار الى العسل . اذهب الى اجتماعك .

ولم يقل « باكو » شيئاً ، بل إنه لم يكن يفهم السياسة ، غير
أنه كان يسره دائماً أن يستمع إلى الساقى الطويل وهو يتحدث
عن ضرورة قتل جميع القسس ورجال الشرطة . كان الساقى

الطويل يمثل له رمز الثورة ، والثورة أيضا فكرة رومانسية ،
وكان هو نفسه يرغب فى أن يكون كاثوليكيًا صالحًا ، ثائرا ،
وأن يكون لديه عمل منتظم مثل هذا على شرط أن يكون مصارعا
للثيران فى نفس الوقت .

قال باكو : اذهب الى الاجتماع يا « اجناثيو » ، سوف أتولى
عناك عملك .

فقال الساقى المعجوز : سنتولى عنك نحن الاثنان .

فقال باكو : يكفى واحد فقط ، اذهب إلى الاجتماع .

فقال الساقى الطويل : سأذهب إذن ، وشكرا .

وفى هذا الوقت ، فى الطابق الأعلى ، كانت أخت باكو قد
نجحت فى الافلات من قبضة مصارع الثيران فى مهارة تشبه مهارة
المصارعين فى الافلات من طوق خصومهم ، وقالت فى غضب هذه
المرّة : هذه سمة الناس الجائعين . مصارع ثيران فاشل ، مثقل
بالخوف . اذا كان لديك الكثير من الجراءة ، استعملها فى حلبه
المصارعة .

- هذه طريقة العاهرات فى الحديث .

- العاهرة أيضا امرأة . ولكنى لست بعاهرة .

- ستكونينها .

- لن يكون ذلك على يديك .

فقال المصارع : اتركينى وحدى .

وكان قد شعر الآن بعد أن صدته الفتاة ورغبت عنه بجبنه وخوفه

العارين يعودان إليه .

فقلت الأخت : أتركك ؟ ومن لم يتركك ؟ ألا تريدني أن أرتب الفراش ؟ انى أتقاضى أجرا على ذلك .

قال المصارع وقد تغضن وجهه العريض الوسيم فى تجهم هو أشبه بالبكاء : اتركينى أيتها العاهرة ، أيتها العاهرة الصغيرة القذرة .

فقلت اذ هى تعلق الباب خلفها : أيها المصارع ، يامصارعى ! وفى داخل الحجرة ، جلس المصارع على الفراش ، ولا يزال يعلو وجهه ذلك التجهم الذى كان يحيله فى الحلبة الى ابتسام دائم يخيف النظارة الأماميين ممن يدركون حقيقة ما يشاهدونه . وكان يردد لنفسه بصوت مسموع : « وهذا .. وهذا .. وهذا .. » . كان بوسعه أن يتذكر أيام نجاحه ، ولم يكن قد مضى عليها سوى ثلاث سنوات . كان بوسعه أن يتذكر حلة المصارعة الثقيلة الموشاة بالذهب على كتفيه ، فى ذلك الأصيل القاطئ من شهر مايو ، حين كان صوته فى الحلبة يختلف عن صوته إذ هو يجلس فى المقوى ، وكيف كان يصوب النصل المشرع الطرف المرهف الى ذلك المكان الذى يسوده الغبار فى أعلى كتف الثور ، على كتاة العضلات السوداء ذات الزغب فوق القرئين العريضين مقوضى الأشجار ، ذوى الطرفين المتشققين اللذين يهبطان إلى أسفل إذ هو يهجم بقتل الثور ، وكيف يعوص السيف فى جسده فى سهولة مثل كومة من الزبد اليابس ، وراحة يده تدفع مقبض السيف ،

وذراعه اليسرى تلتوى إلى أسفل ، وكتفه اليسرى إلى الأمام ، مرتكزا بثقله على ساقه اليسرى . أما تلك المرة فلم يكن ثقله على ساقه ، كان ثقله على أسفل بطنه . وحين رفع الثور رأسه غاص القرن فى جسده وتأرجح عليه مرتين قبل أن يجروه بعيدا . والآن اذا ما تاهب لقتل الثور فى الحلبة - وفادرا ما يفعل - لم يكن فى استطاعته أن ينظر الى قرنيه ، لكن .. . انى لأية عاهرة أن تدرك معاناته قبل أن يقدم على المصارعة ؟ وما هى تجارب هؤلاء الذين يسخرون منه ؟ انهم جميعا عاهرات ، ويدركون كيف يستغلون ذلك .

وفى أسفل ، فى حجرة الطعام ، جلس الفارس ينظر إلى القسين . لو كانت هناك سيدات فى الحجرة لتطلع إليهن ، أما حين لا يكون هناك نساء فانه يتسلى بالحلقة فى أى أجنبى ، انجليزى مثلا . ولما لم يكن هناك سيدات ولا أجانب ، فى الحجرة آنذاك ، فقد أخذ يحلق فى متعة ووقاحة فى القسين . وبينما هو مشغول بالحلقة ، نهض الدلال ذو الوجه المتميز وطوى منشقته وخرج تاركا نصف النيذ فى الزجاجاة الأخيرة التى طلبها . ولو أنه كان قد دفع حسابه فى الخان لكان قد أفرغ الزجاجاة .

ولم يرد القسان على نظرات الفارس بشلها . كان أحدهما يقول : « منذ عشرة أيام وأنا هنا أحاول مقابلته ، وكل يوم أجلس فى غرفة الاستقبال ثم لا يقابلنى » .

— ماذا يمكن أن تفعل !

— لا شيء .. ماذا يمكن للمرء أن يفعل ؟ لا يمكن معارضة السلطات .

— لقد مكثت هنا أسبوعين دون فائدة . إننى أنتظر ولن يقابلنى أحد .

— اتنا من أقاصى الريف . ماذا يهم مدريد من شأن جليقية ؟
إن مقاطعتنا فقيرة .

— وهكذا بدأت أفهم حقيقة ما قام به أخونا « باسليو » .
— ما زلت لا أثق ثقة حقيقية فى أمانة « باسليو » .

— إن مدريد هى المكان الذى يتعلم المرء فيه كيف يفهم . مدريد
تقتل أسبانيا .

— لو أنهم يقابلون المرء ثم يرفضون .

— كلا ، يجب أن يهدموك ويلوك بالانتظار .

— حسن .. سنرى . يمكننى الانتظار مع الآخرين .

وفى هذه اللحظة ، نهض الفارس منتصبا ، وتوجه إلى مائدة
القسين وتوقف عندها ، برأسه الأسمر ووجهه الشبيه بالصقر ،
يحملق فيهما ويتسهم ..

وقال قس منهما لزميله : إنه مصارع ثيران .

فقال الفارس : « ومصارع بارع » . ثم خرج من غرفة الطعام
فى حلتة السمراء ، أنيق الخاضرة ، مقوس الساقين ، يرتدى
سراويل ضيقة فوق حذائه الريفى عالى الكعبين الذى يدق على
الأرض اذ يترنح فى انتظام ترتب وهو يتسهم لنفسه . كان يعيش

فى عالم من الكفاءة الذاتية ، عالم صغير ، محكم ، مهنى ، هين
الاحتفال كل للة بالمشروبات الروحية ، ومن الوقاحة . وآلان ،
أشعل سيجارا وأمال قبعته على زاوية من رأسه ومضى عبر القاعة
إلى المقهى ..

وغادر القسان الغرفة توا بعد الفارس ، فى عجلة ، شاعرين
بأنهما آخر من بقى فى حجرة الطعام . ولم يعد هناك فى الحجرة
غير « باكو » والساقى متوسط العمر . ونظفا الموائد وحملا
الزجاجات إلى المطبخ .

وكان الغلام المكلف بغسل الأطباق فى المطبخ يكبر باكو بثلاثة
أعوام ، وكان مفعما بالسخرية والشعور بالمرارة .

وقال الساقى متوسط العمر وهو يصب كوبا من نبيذ .
« الفالدينياس » للغلام : خذ هذا .

وقال الغلام وهو يتناول الكوب : بكل سرور .

وقال الساقى : وأنت يا باكو ؟

فقال باكو : شكرا لك ..

وشرب ثلاثتهم .

وقال الساقى متوسط العمر : سأذهب الان .

وقالا له : مع السلامة .

وذهب . وبقيا وحدهما . وتناول « باكو » منشقة كان أحد
القسين قد استعملها ، روقف منتصبا ، ثابت الكعبين ، وأرخی المنشقة
الى أسفل ، ولوح بذراعيه ورأسه يتابع الحركة فى اهتزاز يماثل

قال : انظر إلى هذا ، ومع ذلك فأنا أعسل الألباق
— لماذا ؟

فقال انريكى : الخوف . الخوف . نفس الخوف الذى تشعر
به فى الحلبة مع الثور الحقيقى .
قال « باكو » : كلا ، أنا لا أخاف .

فقال « انريكى » : كاذب . الكلى يخاف . ولكن المصارع
يستطيع أن يتحكم فى خوفه حتى يتمكن من السيطرة على الثور
لقد ذهبت إلى مصارعة للهواه وشعرت بخوف شديد حتى أتنى لم
أستطع منع نفسى من الفرار ، ونظر الجميع الى المسألة باعتبارها
شئنا طريفا . وعلى ذلك ستخاف أنت أيضا . ولولا الخوف لتحول
كل ماسح أحذية فى أسبانيا الى مصارع للثيران . أنك من الريف
وستخاف أكثر مما أخاف أنا .
قال باكو : كلا .

لقد مارس المصارعة كثيرا فى خياله ، وشاهد القرون مرات
عديدة ، وفم الثور المبلل ، وأذنيه تختلجان ، ثم تهبط رأسه إلى
أسفل . ويشرع فى الهجوم ، وتندق حوافره على الأرض ، ويمر به
الثور الهائج بينما هو يهز الوشاح . ويهاجمه ثانية حين يهزه
مرة أخرى ، وأخرى ، وأخرى ، وأخرى ، إلى أن ينتهى بشئ
الثور حوله فى نصف حركة عظيمة ، ويسير مشئيا وقد علقت بعض
شعرات الثور بوشى حلتة الذهبية من قرط قربه منه ، والثور
واقف كأننا قد نام نوما مغناطيسيا ، والجمهور يهتف مصفقا ...

حركة مصارعة الثيران البطيئة وتحول ، وتقدم بقدمه اليمنى
قليلا ، وأجرى هجوما ثانيا سطر . به إلى حد ما على الثور الخيالى
وهجم ثلاث مرة فى بطنه . ودقة وخفة تامة ، ثم جمع المنشفة الى
وسطه ودار بعجزه بعيدا عن الثور فى نصف حركة أخرى .

وكان غاسل الألباق ، ويسمى « انريكى » ، يراقبه فى انتقاد
استهزاء .

قال له : كيف حال الثور ؟

قال باكو : شجاع للغاية . انظر !

وانتصب بقامته الهيفاء ، وأجرى أربع حركات هجومية أخرى
بالغة الاحكام ، فى خفة ورشاقة . ودقة .

وقال انريكى وهو « تد ميدعته ، مرتكزا على الحوض المعدنى
وممسكا بكوب نبيذه : وما حال الثور ؟

وقال باكو : مازالت فيه بقية . .

فقال انريكى : إنك تملأنى سقما .

— لماذا ؟

— انظر ؟

وأزاح « انريكى » ميدعته ، ثم أشاح للثور الخيالى ، وقام
بأربع حركات مصارعة كاملة مسترخية على طريقة العجز ، وأنهاها
بدورة جعلت الميدعة تلتوى على شكل قوس حاد قريبا من أنف
الثور إذ هو يمضى بعيدا عنه .

كلا ، إنه لن يخاف • ربما يخاف الآخرون ، أجل • ولكن •• هو ، إنه يعلم أنه لن يخاف • وحتى لو حدث وشعر بالخوف فقد كان يعلم أنه يستطيع القيام بها على أى حال • إنه واثق من نفسه • قال : « لن أخاف ••• »

وقال « انريكى » مرة أخرى : « كاذب » • ثم أضاف :

« لماذا لا نجرب ؟ »

— كيف ؟

قال انريكى : انظر ، انك تحسب حساب الثور ولكنك تغفل عن القرون ، للثور قوة عظيمة فى قرونه تلك التى تعمل على السكين ، فهى تطعن كالحرية ، وتقتل كالهراوة ، انظر •• •

وفتح درج مائدة وتناول منه سكينى لحم وأضاف قائلاً : سوف اربط هذين السكينين إلى رجلي أحد المقاعد ، ثم أمثل دور الثور معك حاملاً المقعد ، بالسكينين كالقترنين ، فى مقدمة رأسى • فإذا نجحت فى محاوره هذين فانك عندئذ تعنى شيئاً •

فقال « باكو » : أعرنى ميدعتك ، سوف تقوم بذلك المشهد فى حجرة الطعام •

فقال انريكى فجأة دونما مراة : كلا ، لا تعمل ذلك يا باكو • قال « باكو » : بلى ، انى لست خائفاً •

— مستشعر بالخوف حين ترى السكينين يندفعان تحوك • قال باكو : سنرى ، اعطنى الميذعة •

وفى هذه الأثناء ، حين كان « انريكى » يربط سكينى اللحم

ثقيلى النصل ، مرهفى الحد ، الى رجلي المقعد فى احكام بمنشفتين مستعملتين حول النصف الأسفل من كل سكين ، يلفهما باحكام ويعقد عليهما ، كانت أختا « باكو » ، الخادمتان ، فى طريقهما إلى السينما لمشاهدة « جريتا جاربير » فى فيلم « أنا كرىستى » • وكان واحد من التسينين يجلس فى ملابسه الداخليه يقرأ فى كتاب الصلوات ، والآخر يرتدى قميص نوم ويتلو صلواته على المسبحة ، بينما ذهب جميع المصارعين ماعدا ذلك المريض إلى مقهى « فورنوس » حيث كان الفارس الضخم الأسود الشعر يلعب البلياردو ، والمصارع الرزين القصير القائمة يجلس إلى مائدة مزدهنة وأمامه القهوة واللبن ، ومعه راشق السهام متوسط العمر ، وعمال جادون آخرون •

وكان الفارس الأشيب الرأس الذى يفرط فى الشراب جالسا وأمامه كأس من نبيذ « كاتلاس » ، يحمق فى سرور فى المائدة التى جلس إليها المصارع الذى تخلت عنه شجاعته مع مصارع آخر نبذ السيف ليعود راشقا للسهام ، ومعهما اثنتان من العاهرات تبدو عليهما مظاهر التعب •

ووقف الدلال على جانب الطريق يتحدث مع بعض الأصدقاء ، وكان الساقى طويل القائمة فى اجتماع نقابة الفوضويين ينتظر فرصة للحديث • وجلس الساقى متوسط العمر فى شرفة مقهى « الفارث » يشرب زجاجة صغيرة من البيرة • وكانت المرأة التى تملك خان « اللواركا » نائمة فى فراشها ، ترقد فيه على ظهرها

والوسادة تحت قدميها : ضخمة ، سميكة ، شرفة نظيفة ، سهلة التعامل ، في غاية التدبير ، ولم تفتها تلاوة الصلاة كل يوم لزوجها الذي مات منذ عشرين عاما . وكان المصارع المريض في غرفته : وحيدا ، يرقد على فراشه ووجهه الى أسفل ، وقد أسند منديلا إلى قدمه .

والآن ، في حجرة الطعام الخالية ، ربط « انريكى » المقعدة الأخيرة في المنشفتين اللتين طوقتا السكينين إلى رجلى المقعد ، ثم رفع المقعد ، ووجه الأرجل وعليها السكينان الى الأمام ، وأمسك بالمقعد فوق رأسه وطرفا السكينين متوجهاً الى الأمام مباشرة ، واحد من كل جانب من رأسه ، كقرني الثور تماما .

قال : انهما ثقيلان ، انظر ياباكو . انهما خطيران جدا . لا تفعل ذلك . كان ينضح عرقا .

ووقف « باكو » في مواجهته ، مسكاً بالميدعة ، ناشرا اياها وقد أمسك بشنبيه منها في كل يد ، وإيهاماه إلى أعلى ، والاصبع الأول إلى أسفل ، ناشرا اياها ليجذب انتباه الثور .

قال : اهجهم مباشرة ، در كالثور ، اهجهم مرات عديدة كما تريد .

وسأل انريكى : ولكن ، متى ستعرف المرة التي يجب أن تصد فيها الهجوم ؟ من الأفضل تحديدها بثلاث مرات ثم تقوم بنصف دورة بعدها .

قال باكو : حسن ، ولكن اهجهم مباشرة . ها . آهيا الثور !

تعال ، تعال أيها الثور الصغير .

وأقبل « انريكى » نحوه وقد خفض رأسه إلى أسفل ، وهز باكو الميدعة بمحاذاة نصل السكين حين مر بالقرب من بطنه ، اجتازه كأن بالنسبة له قرنا حقيقيا ، أبيض الطرف ، أسود ، ثقيل . حين مر به « انريكى » ودار ليهجم ثانية عليه ، كان ثورا حار الدماء هو الذي يهاجمه ، فدار كالمقعد وأناه ثانية وهو يهز الوشاح في بطنه ، ودار الثور وهاجم مرة أخرى ، وتقدم « باكو » بقدميه بوصتين وهو يراقب النصل المشرع ، ولكن السكين لم يسر ، بل انحرف وغاص في جسده كما لو كان زق خسر . وتفجر انبثاق حار مبخر فوق كتلة النصل الداخلية وحولها ، وهتف انريكى : آه ، آه ، دعنى أخرجه .

وازلت « باكو » إلى الأمام على المقعد وهو لا يزال مسكاً بالمبدعة ، الوشاح ، وانريكى يجذب المقعد بينما السكين يتقلب في جسده ، في جسده ، في « باكو » . وأخرج السكين . وجلس على الأرض في وسط البحيرة الدافئة التي تسع .

وقال انريكى : ضع المنشفة على الجرح . امسكها جيدا . سأجرى في طلب الطبيب . يجب أن تمسك الزيف .

قال باكو : « كان يجب أن يكون هناك قرح مظاني » . كان قد رأى ذلك يستخدم في الحلبة في مثل هذه الحالات .

فال انريكى وهو يبكي : سأعود حالا . ما أردت سوى أن

أريك خطورة ذلك .

قال باكو وصوته يدر آتيا من بعيد : « لا عليك .. ولكن ،
أحضر الطبيب ... » .

فى الحلية يرفعونك ويحملونك ويجرون بك إلى غرفة العمليات
فاذا نزلت شرايين الفخذ آخر قطراتها من الدماء قبل أن تبلغها فانهم
يستدعون القسيس .

قال « باكو » وهو يمسك المشفة فى إحكام حول أسفل
بطنه . اخطر أحد القسس . لم يكن بإمكانه أن يصدق أن هذا
حدث له .

ولكن « انريكى » جرى عبر شارع « سان خيرونيمو » إلى
محطة الاسعاف الأولية التى تعمل ليل نهار ، وظل « باكو »
وحده . جلس فى البداية ، ثم تكوم مقعيا ، ثم تسدد على الأرض ،
حتى انتهى كل شىء ، شاعرا أن حياته تتسلل منه كما تتسرب المياه
القدرة من حوض استحمام حين تنزع سداده . كان فرعا ،
يشعر بالخور ، وحاول أن يتلو صلاة التوبة ، تذكر بدايتها ولكن
قبل أن يقول بأسرع ما يمكنه . آه يا إلهى ، انى آسف أشد
الأسف لأننى أخطأت فى حقك يامن تستحق حبى ، وإننى أعزم
عزما قويا .. شعر بالانغساء يتنابه . وكان يرقد ووجهه ناحية
الأرض ، وانتهى الأمر بستانى السرعة ، ان شريان الفخذ المنقطع
ينزف دمه بأسرع ما يتصور أحد .

وحين كان طبيب مركز الاسعافات الأولية يصعد الدرج مصطحبا

رجل الشرطة الذى أمسك بذراع « انريكى » ، كانت أختا
« باكو » لا تزالان فى دار السينما فى « الجران فىا » حيث
شعرنا بخيبة أمل شديدة من فيلم « جريتا جاربو » الذى ظهرت
فيه نعمة السينما العظيمة فى بيئة حقيرة بائسة ، فى حين كانتا
معتادتين رؤيتها محاطة بالأبهة والعظمة . واستاء الجمهور من الفيلم
انى درجة بالغة ، وأعلن احتجاجه بالصفير ودق الأقدام على الأرض
أما نزلاء الخان الآخرون فكانوا تقريبا يفعلون ما كانوا يقومون به
حين وقعت الحادثة ماعدا أن القسين كانا قد انتهيا من صلواتهما
واستعدا للنوم ، وأن الفارس الأشيب قد انتقل بشرابه ليجلس مع
العاهرتين المنهكتين ، وبعد فترة وجيزة ، خرج من المقهى مع
إحدهما ، وهى تلك التى كان المصارع الجبان يدفع لها ثمن
ما تشرب .

ولم يعرف الفتى « باكو » شيئا عن ذلك ، ولا عما سوف يفعل
كل هؤلاء الناس فى اليوم التالى وفى الأيام التالية . لم تكن
لديه أية فكرة عن طريقة معيشتهم ولا كيف انتهوا . بل لم يكن
يدرك أنهم انتهوا . لقد مات مليئا بالآمال ، كما يقول المثل
الاسانى . ولم تنفسح أمامه الحياة ليفقد آيا من تلك الآمال ولا
كيما يكمل فى النهاية أسفه عليها .

بل لم يكن أمامه متسع من الوقت كيما يخيب أمله فى فيلم
« جريتا جاربو » الذى خيب أمله ، مدريد كلها نذرة أسيرج .

قطعة تحت المطر



قطعة تحت المطر

لم يكن في الفندق من أمريكي سوى رجل وزوجته ولم يكونا يعرفان أى شخص يصادفانه على السلالم فى طريقهما من الحجرة وإليها . كانت حجرتهما فى الطابق الثانى وتطل على البحر . . . وكانت تطل أيضا على الحديقة العامة وعلى النصب التذكارى المقام لذكرى الحرب . كانت الحديقة العامة تفص بالنخيلات الضخام وبالمتقاعد الخضراء . وحين يكون الجو صافيا ، كان يفد إليها باستمرار أحد الفنانين حاملا معه لوحة الرسم . وكان الفنانون يحبون طريقة نمو النخيل ، والألوان الناصعة للفندق للمواجه للحدائق وللبحر . وكان الايطاليون يفدون من أقصى البقاع لمشاهدة النصب التذكارى ، وكان مصنوعا من البرونز ويلتصع حين تهطل عليه الأمطار . أخذت السماء تمطر ، وطفق ماؤها يقطر من على أفنان النخيل ، وتكونت بحيرات صغيرة من الماء على الممرات المغطاة بالحصباء . وتدفقت موجات البحر فى خيط طويل تحت الأمطار ثم انحسرت ثانية على الشاطئ لتعود مرة أخرى متدفقة فى خيط طويل تحت الأمطار . وأنفضت السيارات من حوال

قطعة تحت المظ

لم يكن في الفندق من أمريكي سوى رجل وزوجته ونم يكونا يعرفان أى شخص يصادفانه على السلالم فى طريقهما من الحجرة وإيها . كانت حجرتهما فى الطابق الثانى وتطل على البحر . . . وكانت تطل أيضا على الحديقة العامة وعلى النصب التذكارى المقام لذكرى الحرب . كانت الحديقة العامة تنص بالنخيلات الضخام وبالمقاعد الخضراء . وحين يكون الجو صافيا ، كان يفد إليها باستمرار أحد الفنانين حاملا معه لوحة الرسم . وكان الفنانون يجوبون طريقة نمو النخيل ، والألوان الناصعة للفندق للمواجه للحدائق وللبحر . وكان الايطاليون يفدون من أقصى البقاع لمشاهدة النصب التذكارى ، وكان مصنوعا من البرونز ويلتمع حين تهطل عليه الأمطار . أخذت السماء تمطر ، وطلق ماؤها يقطر من على أفنان النخيل ، وتكونت بحيرات صغيرة من الماء على الممرات المغطاة بالحصباء . وتدفقت موجات البحر فى خيط طويل تحت الأمطار ثم انحسرت ثانية على الشاطئ لتعود مرة أخرى متدفقة فى خيط طويل تحت الأمطار . وانفضت السيارات من حول

الزوجة معجبة به • معجبة بالطريقة الصارمة الجادة التي يتلقى بها
أى شكوى من النزلاء ، معجبة ببيته ، معجبة بطريقة خدمته لها ،
معجبة بالطريقة التي كان يشعر بها بمكاته كصاحب الفندق ،
معجبة بوجهه العجوز الثقيل ويديه الكبيرتين •

وفتحت الباب وهى مستلثة اعجاباً به ونظرت الى الخارج • كان
المطر يهطل بشدة • وكان ثمة رجل يرتدى قبعة من المطاط يعبر
الميدان المقفر متجها الى المقهى • لا بد أن القطة فى الناحية
اليسرى • وربما تستطيع أن تتجه اليها محتسبة بأفاريز السطح •
واذ كانت تقف فى المدخل أحست بسئلة تنفتح الى جوارها •
كانت خادمة غرفتها • وقالت لها بالايطالية وهى تبتسم : « يجب
ألا تبتك مياه الأمطار » • لا بد أن صاحب الفندق قد بعث بها
خلفها • وسارت على طول المر المغطى بالحصاء والخادمة تمسك
بالمظلة فوقها حتى وصلت إلى أسفل نافذة غرفتها • وعثرت هناك
علو المائدة ، يلمع سطحها الأخضر مغسولا ببياه الأمطار ، ولكن
القطة لم تكن موجودة تحتها • وغرمتها فجأة موجة من خيبة
الأمل • وتطلعت اليها الخادمة ، وقالت بالايطالية : هل ضاع
منك شئ ، ياسنيررا ؟

فقالت الزوجة الأمريكية : لقد كانت هنا قطة •

— قطة ؟

فقالت بالايطالية : أجل ، القطة •

فضحكت الخادمة وقالت : قطة ، قطة تحت المطر ؟

النصب التذكارى فى الميدان • وعبر الميدان ، وقف نادى فى مسر
المقهى ، يتطلع أمامه إلى الميدان المتفر •

ووقفت الزوجة الأمريكية تتطلع الى الخارج من النافذة •
وعناك ، وتحت نافذتها تماما ، كانت ثمة قطة تقعى تحت مائدة
خضراء تقطر ببياه المطر • وكانت القطة تحاول أن تلمس نفسها
حتى لا يصبها رذاذ الماء •
قالت المرأة الأمريكية : سأهبط إلى أسفل لأحضر هذه
القطة •

فنتطوع زوجها قائلاً وهو يرقد على الفراش :
— سأقوم أنا بهذه المهمة •

— كلا • سأحضرها أنا بنفسى ، تلك القطة المسكينة فى الخارج
تحاول أن تتقى الأمطار تحت المائدة •

وواصل الزوج قراءته وهو راقد يرتكز على زوج من الحشايا
فى نهاية الفراش • قال : حاذرى أن يصبك الببال •
وهبطت الزوجة الى الطابق السفلى ، ووقف صاحب الفندق
وانحنى لها حين مرت أمام غرفته • كان مكتبه فى الطرف الأقصى
من الغرفة • كان رجلاً مسناً بالغ الطول •

قالت الزوجة بايطالية : ان المطر يهطل ،

وكانت معجبة بصاحب الفندق •

— أجل ، أجل ياسنيرورا • ان الجو سيء المائة •

ووقف خلف مكتبه فى الطرف الأقصى من الغرفة العسة • كان

— أجل ، تحت المائدة • أوه ، لقد أردت أن أحصل عليها •
أردت أن أحصل على قتيطة •
واربد وجه الخادمة حين كانت الزوجة تتحدث بالانجليزية ،
وقالت : هيا ياسينورا ، لا بد أن نعود الى الداخل • سوف
تصيبك مياه الأمطار •

فقال الزوجة الأمريكية : أظن ذلك •
وعادا مرة أخرى عبر المر المغطى بالحصاء ودخلا من الباب ،
وبقيت الخادمة فى الخارج لتفلق المظلة • وحين مرت الزوجة
الأمريكية بغرفة صاحب الفندق انحنى لها الرجل من وراء مكتبه
وأحست الزوجة بشئ ضئيل ومحكم فى داخلها لقد جعلها صاحب
الفندق تشعر بشدة ضالتها وأهميتها الحقيقية فى ذات الوقت •
وشعرت شعورا وقتيا بأهميتها القصوى • وصعدت السلالم :
وفتحت باب الغرفة • وكان زوجها « جورج » راقدًا على الفراش ،
يقرا •

وسألها وهو يضع الكتاب جانبا : هل حصلت على القطة ؟
— لقد أختفت ؟

فقال وهو يرفع عينيه من القراءة : انى لأعجب أين ذهبت •
وجلست هى على الفراش الى جواره •

قالت : لقد كنت أرغب جدا فيها • لا أعرف لماذا أريدها بهذه
انطريقة • لقد أردت تلك القتيطة المسكينة • لم يكن مناسبًا
ترك مثل هذه القتيطة المسكينة هناك تحت المطر •

• وواصل « جورج » قراءته •

وسارت الزوجة عبر الغرفة وجلست أمام التريجة تنظف الى
نفسها فى مرآة اليد • ودرست صورة وجهها الجانبى ، الجانب
الأيمن أولا ثم الجانب الأيسر • ثم درست خلفية رأسها ثم
عنقها •

قالت وهى تنظر مرة أخرى الى جانب وجهها : ألا تظن أنه من
الأفضل أن أطيل شعرى قليلا ؟

ونظر « جورج » اليها ورأى عنقها من الخلف وقد بدأ واضحا
كأنه عنق صبي •

— انى أحبه هكذا •

فقالت : لقد مللت ذلك • مللت أن أبذو وكأنتى صبي صغير •
واعتدل « جورج » فى رقدته على الفراش ، ولم يكن قد أزاح
عنها بصره منذ أن بدأت تتحدث • وقال : انك تبدين لطيفة جملة
رائعة •

ووضعت المرأة على التريجة وسارت الى النافذة ونظرت
منها • كان الظلام قد بدأ ينسدل •

قالت : أريد أن أسدل شعرى على ظهرى مسترسلا ناعما ،
وأجعل منه صغيرة كبيرة أستطيع أن أتحمسها وأريد أن يكون
لى قتيطة اجلسها على حجرى وتهر حين اربت على ظهرها •

فقال « جورج » من على الفراش : ماذا ؟

المخيم الهندي



— وأريد أن أكل على مائدة بلاعقى الفضية الخاصة وأريد
شموعا على المائدة • وأريد أن تكون فى فصل الربيع وأريد ان
أستق شمعى أمام مرآة وأريد قتيطة وأريد بعض الملابس
الجديدة •

فقال « جورج » وهو يماود القراءة : أوه ، اصمتى وخذى شيئا
فاقريه •

وكانت زوجته تتطلع من النافذة • وكان الظلام قد لف الآن
كل شيء ومازال المطر يتساقط فوق النخيل •

قالت : على كل حال ، أريد قطة • أريد قطة • أريد قطة الآن •
فأذا لم يكن باستطاعتى أن أطيل شمعى أو أن أحصل على أى متعة •
أخرى ، فباستطاعتى الحصول على قطة •

ولم يكن « جورج » ينصت إليها • كان يقرأ فى كتابه •
وتطلعت زوجته خارج النافذة حيث بدأ الضوء يسطع على الميدان •
ودق أحدهم على الباب •

قال « جورج » : ادخل ! ورفع عينيه من الكتاب •

وعلى عتبة الغرفة كانت الخادمة تقف ممسكة بقطة كبيرة مصنوعة
من البلاستيك وهى تضمها إليها فى احكام وتحلبها على صدرها •
وقالت : عفوا ياسيدى ، لقد طلب منى صاحب الفندق أن أحضر
هذه القطة للشيورا •

المخيم الهندى

كان ثمة قارب آخر مربوط الى ضفة البحيرة • ووقف الهنديان
بنتظران •

ودلف « نك » ووالده الى مؤخرة القارب ، ودفعه الهنديان ،
وقفز أحدهما اليه كى يجدف • وجلس العم « جورج » فى مؤخرة
قارب المخيم • ودفع الهندى الشاب قارب المخيم وقفز اليه كى
يجدف بالعم جورج •

وانطلق القاربان فى الظلمة • وسمع « نك » ضربات بحسدا
القارب الآخر على مسافة أمامهم فى وسط الضباب • كان الهنديان
يجدفان بضربات متقطعة سريعة • واستلقى نك على ظهره وذراع
رائده تطوقه • كان الجر باردا فوق صفحة المياه • وكان الهندى
الذى يجدف بهما يبذل قصارى جهده ، غير أن القارب الآخر كان
يبتعد عنهما رويدا رويدا الى الأمام وسط الضباب •

تساءل « نك » : الى أين أنت ذاهب يا أبى ؟

الى المخيم الهندى • هناك امرأة هندية اشتد بها المرض •
قأن « نك » : آه •

وعبر الخليج ، وجدوا القارب الآخر راسيا . وكان العم جورج
يدخن سيجارا فى الظلمة . وجذب الهندى الشاب القارب فوق
الشاطئ . وأعطى العم جورج كلا الهنديين سيجارا .

وساروا مصعبين من الشاطئ خلال مرج بلله الندى ، مقتفين
أثر الهندى الشاب الذى كان يحصل قنديلا . ثم دلفوا الى الغابة ،
وساروا فى ممر أفضى بهم الى طريق قطع الأشجار الذى يتشعب
الى التلال . وكان السير أيسر فى طريق قطع الأشجار اذ أن
الأخشاب كانت مقطوعة على جانبي الطريق . وتوقف الهندى
الشاب وأطلقا قنديله ، ثم غدوا السير جميعا مرة ثانية .

وبلغوا منعظا ، وظهر أمامهم كلب ينبج . وتبدت لهم أنوار
الأكواخ التى يعيش فيها الهنود الذين يعملون فى قطع لحاء
الأشجار . واندفع نحوهم المزيد من الكلاب ، وهش بها الهنديان
مرة أخرى نحو الأكواخ . وفى أقرب كوخ للطريق ، كان نمة
نور يلتصع فى النافذة . وكانت امرأة عجوز تقف عند مدخل الباب
تحمل مصباحا .

وفى الداخل ، كانت هناك امرأة هندية شابة ترقد على سرير
خشبي من دورين . كانت تتجاهد لولادة طفلها طوال يومين .
وكانت جميع النسوة العجائز فى المعسكر يساعدها . أما الرجال
فقد ابتعدوا ناحية الطريق وجلسوا يدخنون فى الظلمة بعيدا عن
الضوضاء التى يحدثها صراخ المرأة . وكانت تصرخ حين تبسع
« نك » والهنديان الوالد والعم جورج الى داخل الكوخ . كانت

المرأة ترقد فى اللوح السفلى من السرير ، ضخمة الجثة تحت
للحاف .

وكان رأسها مائلا نحو جهة واحدة . وكان زوجها يرقد على
اللوح العلوى . كان قد جرح قدمه جرحا بليغا بالبلطة منذ عدة
أيام . وكان يدخن غليوننا ، وعبقت الحجرة برائحة كريهة .
وأمر والد « نك » باحضار بعض الماء ووضع على الموقد .
وبينما كان الماء يسخن بادل « نك » الحديث . قال : هذه المرأة
على وشك أن تلد .
قال نك : أعرف .

قال والده : انك تعرف . استمع لى . ان ماتر به الآن هو
حالة الطلق . ان الطفل يريد أن يولد وهى تريد له أن يولد . ان
هذا هو ما يحدث حين تصرخ .
قال نك : فهمت .
وحينئذ صرخت المرأة .

تساءل « نك » : آه يا أبى . ألا يمكنك أن تعطيتها شيئا
يجعلها تكف عن الصراخ ؟

قال والده : كلا . ليس لدى أى مخدر . ولكن صرخاتها ليست
بذات أهمية . انى لا أسمعها انها ليست بذات أهمية .

واستدار الزوج فى مرقده باللوح الأعلى تجاه الحائط .
وأشارت المرأة الموجودة بالمطبخ للطبيب بأن الماء قد سخن .
وذهب والد « نك » الى المطبخ وصب حوالى نصف الماء من الفلانة

الكبيرة الى طست صغير . ووضع فى الماء الباقي بالغلاية عدة أشياء
أخرجها من صرة معه .

قال : يجب ترك هذه الأشياء حتى تغلى . ثم تطلق يحك يديه
فى طست الماء الساخن بقطعة صابون أحضرها من المخيم . وراقب
« نك » يدى والده تحكان بعضهما بقطعة الصابون . وتكلم والده
وهو يغسل يده بكل دقة وعناية :

— أتعرف يانك .. من المفروض أن يولد الأطفال ورأسهم فى
المقدمة . ولكن لا يحدث هذا أحيانا . وحين يكون الأمر خلاف
المادة ، فانهم يسيبون المتاعب لكل شخص : ربما تعين على أن
أجرى عملية لهذه المرأة ، سنعرف بعد هنية .

وحين رضى عن نظافة يديه ، دلف الى الداخل ونهيا للعمل .
قال : اكشف هذا الغطاء يا جورج ، أفضل ألا ألمسه بيدي .

وبعد ذلك ، حين بدأ يجرى العملية ، أمسك العم جورج وثلاث
رجال من الهنود بالمرأة حتى لا تتحرك . وقد عضت العم جورج
فى ذراعه . وقال العم جورج : « عليك اللعنة أيتها الكلبة ! » ،
وضحك الهنود الشاب الذى جدد قارب العم جورج لذلك
الحادث . وحمل « نك » الطست لوالده . واستغرق كل ذلك وقتنا
طويلا .

وجذب الوالد الطفل الى أعلى ولطمه كيا يجعله يتنفس
ناوله للداة العجوز .

قال : انظر يا « نك » ، انه ولد . ما رأيك وأنت تعمل الآن

مساعدا للطبيب ؟

قال نك : حسن . وكان يشيح بصره كيا لا يرى ما كان والده
يقوم به .

قال الوالد : « هكذا . هذا ينهى الأمر » ووضع شيئا فى
الطست .

ولم ينظر « نك » الى ذلك الشيء .

قال والده : الآن على أن أخيط بضع غرزات . لك أن ترى هذا
« يانك » أو لا تراه ، حسبما تريد . سوف أخيط الجرح الذى
فتحته .

ولم ينظر « نك » . كان حب الاستطلاع قد فارقه منذ مدة
طويلة .

وفرغ والده من عمله ونهض واقفا . ونهض العم جورج وانهود
الثلاثة . وأخرج « نك » الطست الى المطبخ . وتطلع العم جورج
الى ذراعه ، وابتمم الهنود الشاب وهو يتذكر ماحدث .

وقال الطبيب : سوف أضع لك مطهرا على الجرح يا جورج .
انحنى فوق المرأة الهندية . كانت هادئة الآن ، وقد انفلقت
عناها . كان يبدو عليها الشحوب الشديد . ولم تكن تعرف
ماذا حدث للطفل أو أى شئ .

قال الطبيب وهو نهض : سوف أحضر مرة أخرى فى الصباح .
يجب أن تكون مريضة مستشفى « سان اجناس » هنا عند
الظهيرة ، وسوف تحضر معها كل ما نحتاج .

كان يشعر بالقبضه وبالرغبه فى الكلام ، كشمور لاعبى كرة القدم
فى غرفة الملابس بعد المباراة .

قال : « هذا خبر جدير بالصحيفة الطبية يا جورج . طيب
يجرى عملية قيصرية بمطواة ويخيط الجرح بخيوط أمعاء رفيعة
طولها تسعة أقدام » .

وكان العم جورج يقف مستندا الى الحائط وهو يتطلع الى
جرحه . قال : « أوه ، أنك رجل عظيم ، وهو كذلك » .

قال الطبيب : يجب أن نلقى نظرة على الأب الفخور . ان الآباء
عادة هم أكثر من يعانون فى مثل هذه الظروف . يجب أن اعترف
بأنه قد تحمّل كل شيء فى هدوء .

وكشف الملاءة عن رأس الأب الهندى . وعادت اليه يده مرللة .
وصعد على حافة اللوح الأسفل من السرير وهو يحمل المصباح فى
احدى يديه ، ونظر أمامه . كان الهندى يرقد ووجهه الى الحائط .
كان عنقه مقطوعا من الأذن للأذن . وسال الدم منه مكونا بحيرة
عند جسده الذى أغرق مضجعه . وكان رأسه مرتكزا على ذراعه
اليسرى . وكان موسى الحلاقة يرقد مقتوحا وسط الملاءة وحده
الى أعلى .

قال الطبيب : خذ « نك » خارج الكوخ يا جورج .

ولم تكن ثمة حاجة الى ذلك . كان « نك » ، وقد وقف عند
باب الكوخ ، يرى بوضوح اللوح الأعلى من السرير حين أمال
والده رأس الهندى جانبا والمصباح فى يده .

كان الصباح قد بدأ يطلع حين سار « نك » ووالده عائدين
على طول طريق قطع الأشجار فى طريقهما إلى البحيرة .

قال والده وقد راح عنه كل ما اتناه من نشوة عقب نجاح
العملية : « انتى جد آسف لاحتضارك معى يا « نك » . لقد
كان موقفا صعبا لم يكن من الواجب أن أجعلك تشهده » .
وتساءل « نك » : هل تمر النساء دائما بشئ هذه المحنة حين
يلدن ؟

— كلا . لقد كانت هذه حالة استثنائية للغاية .

— ولماذا قتل الزوج نفسه يا أبى !

— لا أدرى يا « نك » . أظن أنه لم يتحمل هذا الموقف .

— هل يقتل كثير من الرجال أنفسهم يا أبى ؟

— ليس كثيرا جدا يا « نك » .

— وماذا عن النساء ؟

— نادرا .

— ألا يقتلن أنفسهن أبدا ؟

— أوه ، أجل . أحيانا .

— أبى ؟

— ماذا يا « نك » ؟

— أين ذهب العم جورج ؟

— إنه سيعود سليا معافى .

تلال كالأفيال البيضاء



— هل الموت صعب يا أبى ؟
— كلا . أعتقد أنه سهل جدا يا « نك » . إن الأمر يختلف باختلاف الظروف .

وجلسا فى القارب ، « نك » فى المؤخرة ، ووالده يقوم بالتجديف . وكانت الشمس تبتغ من وراء التلال . وقفزت سسكة فأحدثت دائرة فى المياه . وأمر « نك » يده فى مياه البحيرة ، وشعر بها دافئة فى برودة الصباح العادة .
وفى خضم الصباح الباكر فوق البحيرة ، اذ هو جالس فى مؤخرة القارب ووالده يجدف به ، شعر « نك » شعورا أكيدا بأنه لن يموت أبدا .

تلال كالأفيال البيضاء

كانت التلال عبر وادي نهر « ابرو » عالية بيضاء ولم يكن في هذا الجانب من ظلال ولا أشجار • وكانت المحطة تقع في الشمس بين خطين من القضبان • وأمام جانب المحطة مباشرة ترسم الظلال الدافئة للمبنى والستائر التي صنعت من خرزات « البامبو » وعلقت على باب البار المفتوح كيما تزدود عنه الذباب • وجلس الأمريكي والفتاة التي معه الى مائدة في الظل خارج المبنى • كان الجو حارا ، وسيأتي القطار السريع من « برشلونة » بعد أربعين دقيقة • ويقف القطار عند هذه المحطة دقيقتين ثم يواصل سيره الى مدريد •

سألت الفتاة : « ماذا نشرب ؟ » وكانت قد خلعت قبعتها ووضعتها

على المائدة •

قال الرجل : ان الحر لعين •

— فلنشرب بيرة •

فصاح الرجل عبر الستارة : « اتين بيرة » •

وسألت امرأة من عند الباب : كبيرة ؟

وانصفت الرياح الدافئة قطوحت بالستارة الخرزية على جانب
المائدة .

قال الرجل : البيرة لذيذة ومثلجة .
فقلت الفتاة : انها لذيذة .

قال الرجل : انها مجرد عملية بسيطة صغيرة يا « جيج » . انها
ايست عملية على الاطلاق .

ونظرت الفتاة الى الأرض التي تقوم عليها أرجل المائدة .

— أعرف أنها لا تخيفك يا « جيج » . انها لا شيء في الحقيقة
مجرد السماح للهواء بالدخول .

ولم تنطق الفتاة بحرف .

— « سأذهب معك وأبقى معك طوال الوقت . سوف يدخلون

الهواء ثم يسير كل شيء سيرا طبيعيا » .

— وماذا سنفعل بعد ذلك ؟

— سنصبح على مايرام ، مثلما كنا من قبل .

— وماذا يجعلك تظن ذلك الظن ؟

— ان هذا هو الشيء الوحيد الذي يضايقنا . انه الشيء الوحيد
الذي أشقانا .

ونظرت الفتاة الى ستارة الخرز ومدت يدها وأمستت بخيطين
من خيوطها .

— « وهل تعتقد أننا سنصبح آنذاك على مايرام وسعداء ؟ »

— أعرف أننا سنكون كذلك . لا تخافى . أعرف كثيرا من

الناس فعلوا ذلك .

فقلت الفتاة : وأنا أيضا . ولقد أصبحوا سعداء تمام .

بعدها .

فقال الرجل : حسن . اننى لن أرغمك على ذلك ان لم تكونى

راغبة فيه . لن أضطرك لهذا لو لم تكونى ترغيبه . ولكنى أعلم

أن العملية بسيطة تماما .

— وهل تريد ذلك حقا ؟

— أعتقد أن ذلك هو أفضل مايمكن عمله . ولكنى لا أريدك

أن، تفعليها لو لم تكونى راغبة حقا فى ذلك .

— ولو أنى فعلتها ستكون سعيدا وتعود الحياة الى مجاريها

وستحبنى ؟

— انى أحبك الآن . أنت تعلمين أننى أحبك .

— أعرف . ولكن لو أننى فعلتها فسوف تشعر بالسرور اذا

قلت شيئا مثل الأفيال البيضاء مرة أخرى ، وسوف يعجبك

ذلك ؟

— سوف يعجبنى . انى معجب به الآن ، ولكنى عاجز عن التفكير

فيه . انك تعلمين حالتى حين أكون قلقا .

— ألن تقلق أبدا لو أننى فعلتها ؟

— لن أقلق على ذلك لأنها بسيطة جدا .

— اذن سأفعلها . لأننى لا تهمنى نفسى .

— ماذا تعنين ؟

— كلا ، وإذا أخذوها منك مرة ، فانك لا تستعيدها أبدا بعد ذلك .

— ولكنهم لم يأخذوها .

— سنتظر ونرى .

قال : تعالي الي الظل ، يجب ألا تفكرى بهذه الطريقة .
فقالت الفتاة : انى لا أفكر فى شىء . انى أعرف الأشياء
ليس الا .

— لا أريدك أن تفعلى شيئا لا ترغبين فيه .

قالت : ولا هذا أيضا . انى أعرف . هل تناول مزيدا من
الخبيرة ؟ .

— حسن . ولكن يجب أن تدركى .

فقالت الفتاة . انى أدرك . ألا يسكن أن نكف عن الحديث ؟
وجلسا الى المائدة ونظرت الفتاة الى التلال على الجانب الجاف
من الوادى . ونظر الرجل اليها والى المائدة .

قال : يجب أن تدركى اننى لا أريدك أن تفعلها ان لم تكونى
تريدين ذلك . اننى على استعداد تام لتحمل الأمر لو أنه يعنى أى
شىء بالنسبة لك .

— ألا يعنى أى شىء بالنسبة لك ؟ يمكننا أن نتحمل .

— بالطبع يعينى . ولكنى لا أريد أحدا سواك . لا أريد

أحدا آخر . وانى أعلم أنها عملية بسيطة للغاية .

— أجل أنت تعلم أنها بسيطة للغاية .

— اننى لا تهمنى نفسى .

— حسن . أنا أهتم بك .

— آه ، أجل . ولكن ، لا تهمنى نفسى . وسأفعلها ، وسيكون

كل شىء على مايرام .

— أريدك ألا تفعلها إن أنت رغبت فى ذلك .

وهضت الفتاة وسارت حتى نهاية المحطة . وعلى الجانب
الآخر ، كانت هناك حقول القمح وأشجار تقوم على ضفتى نهر
« الابرو » وثمة جبال على البعد القصى خلف النهر . وتحركت
ظلال سحابة فوق حقل القمح وشاهدت الفتاة النهر من خلال
الأشجار .

قالت : سيكون بإمكاننا أن نحصل على كل هذا . سيكون
بإمكاننا أن نحصل على كل شىء ونجعل الأمر أكثر استحالة يوما عن
يوم .

— ماذا تقولين ؟

— أقول سيكون بإمكاننا أن نحصل على كل شىء .

— كلا ، ليس بإمكاننا ذلك .

— بإمكاننا أن نحصل على الدنيا كلها .

— كلا .

— بإمكاننا أن نذهب الى أى مكان .

— كلا ، لا نستطيع ذلك . لم تعد دنيانا بعد .

— انها دنيانا .

وشرب كأسا من « الأنيس » على البار وتطلع الى الناس • كانوا!
 جميعا ينتظرون القطار في وقار • وخرج عن طريق الستارة الخرز •
 وكانت الفتاة تجلس إلى المائدة تبسم له •
 سألها : هل تشعرين بتحسن ؟
 قالت : انى على مايرام • لا شىء بى • انى على مايرام •

— انه مجرد شىء تقولينه ، ولكنى أعلم تماما •
 — هل لك أن تسدى لى معروفا الآن ؟
 — انى أفعل أى شىء من أجلك •
 — أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك ان تكف
 عن الكلام •

• ولم يقل شيئا بل نظر الى الحقائق المسندة الى جدار المحطة •
 كانت عليها بطاقات الفنادق التى قضيا فيها ليالهما •
 قال : ولكنى لا أريدك أن تفعلها • لا يصنى أى شىء •
 قالت الفتاة : سأصرخ •
 • وأتبلت المرأة من بين ستارة الخرز ومعها زجاجتين أخريين من
 البيرة ، ووضعتهما على طبقين من الفلين الئدى •
 قالت المرأة : سيصل القطار فى خلال خمس دقائق •
 فسألت الفتاة : ماذا قالت ؟
 — ان القطار سيصل فى خلال خمس دقائق •
 • وأبتسمت الفتاة للمرأة فى بهاء شاكرة لها •
 قال الرجل : يحسن أن أحمل الحقائق الى الجانب الآخر من
 المحطة •

• وأبتسمت له ، ثم قالت : حسن • وتعال بعدها لشرب البيرة •
 والتفت الحقيقتين الثقيلتين وحملها حول المحطة الى الساناب
 الآخر • ونظر على طول الطريق ولكنه لم ير أى قطار قادم • وعاد
 وسار عبر غرفة البار حيث كان بها المسافرون المنتظرون يشربون •

مكان جيد حسن الإضاءة



مكان جيد حسن الاضاءة

كان الوقت متأخرا وقد غادر الجميع الحانة ماعدا رجلا عجوزا
جلس في ظل شجرة تعكس أضواء الكهرباء . كان الطريق مرتبا
أثناء النهار ، أما في الليل فقد أزال الندى الغبار ، وأحب العجوز
أن يبقى حتى هذا الوقت المتأخر لأن الهدوء كان يعم كل شيء .
وكان النادلان داخل الحانة يدركان أن العجوز قد ثمل الى حد ما
ورغم أنه كان زبونا طيبا فقد كانا يعلمان أنه اذا ثمل تماما فسوف
يخرج دون أن يدفع الحساب ، لذلك فقد ظلّا يراقبانه ..
قال أحدهما للآخر : لقد حاول الاتحار في الاسبوع الماضي '

— لماذا ؟

— كان يائسا !

— من أى شيء ؟

— من لا شيء !

— كيف عرفت أنه لا شيء ؟

— لأنه يملك مالا كثيرا ؟

وجلسا معا الى مائدة مجاورة بالقرب من باب الحانة . ونظرا

إلى الصالة حيث الموائد خالية عدا تلك التي يجلس إليها المعجوز
فى ظل أوراق الشجرة التي تميل ببطء مع النسيم ..
ودق المعجوز بكوبه على الطبق ، وذهب إليه النادل الشاب :
- ماذا تريد ؟

ونظر إليه المعجوز وقال : مزيدا من البراندى !

وقال النادل الشاب : أخشى عليك أن تشمل .

فنظر إليه المعجوز نظرة استنكار ، فدار النادل على عقبيه
ليحمل إليه ما يريد . وفى طريق عودته قال لزميله المسن :
- انه سيقتى طول الليل وأنا أشعر بالنعاس .. انى لا أذهب
لفراشى قبل الثالثة صباحا .. كان يحسن به أن يقتل نفسه فى
الأسبوع الماضى .

وتناول النادل زجاجة من البراندى وبطاقة حساب أخرى من
مائدة الصراف فى داخل الحانة ، وخرج بهما الى مائدة المعجوز ،
ووضع البطاقة ثم ملا الكوب بالبراندى ، وقال للمعجوز الأصم :
كان يحسن بك أن تقتل نفسك فى الأسبوع الماضى .

وأشار الرجل المعجوز باصبعه وقال : مزيدا !

فأفرغ النادل مزيدا من البراندى حتى سال من القدح وسقط
على بطاقات الحساب .

قال المعجوز : شكرا .

وأعاد النادل الشاب الزجاجة الى داخل الحانة وجلس مسررة
أخرى الى المائدة مع زميله المسن وقال له :

- انه الآن قد مثل .

فأجابه : إنه مثل كل ليلة .

- لماذا حاول أن يقتل نفسه ؟

- من أين لى أن أعلم .

- وكيف فعل ذلك ؟

- حاول أن يشق نفسه بحبل .

- ومن أقتده ؟

- ابنة أخيه .

- ولماذا أقتدوه ؟

- خوفا على حياته .

- كم يملك من المال ؟

- الكثير .

- لايد أنه قد قارب الثمانين من عمره .

- أعتقد أنه فى الثمانين .

- انى أنسى لو عاد الى بيته الآن . إنى لا أذهب الى فراشى

قبل الثالثة صباحا كل يوم ، وبالحا من ساعة يأوى فيها الانسان

لفراشه ؟

- انه يبقى هنا لأنه يحب ذلك .

- انه وحيد ، أما أنا فلى زوجة تنتظرنى .

- وهو أيضا كانت له زوجة يوما ما .

- ان الزوجة ليست بذات فائدة له الآن .

- لم تدعه يبقى ويشرب .. انها لم تكذب الثانية والنصف !
- أريد أن آوى الى فراشى *
 - وماذا فى ساعة أخرى ؟
 - انها أهم عندى عنها لديه *
 - إن ساعة زمن هى ساعة زمن !
 - انك تتحدثت كرجل عجوز أنت الآخر .. ان باستطاعته أن يشتري زجاجة يشربها فى منزله *
 - ان ذلك مختلف *
 - نعم ان ذلك مختلف .. معك حق *
 - وأنت ؟ ألا تخشى أن تعود لبيتك قبل ساعتك المعتادة ؟
 - أتحاول اهاتنى ؟
 - كلا أيها الرجل ، انما أنا أمزح فقط *
- وقال النادل المتعجل وهو ينهض بعد أن فرغ من اغلاق المصاريع المعدنية : « كلا ، انى واثق من نفسى ، ان كلى ثقة ! »
- قال النادل العجوز : ان لديك الشباب ، والثقة ، والعمل ، أنت تملك كل شىء *
- وماذا ينقصك أنت !
 - كل شىء الا العمل *
 - ان لديك كل مالى *
 - كلا . لم أثق فى شىء قط .. ثم اننى لست شابا *
 - هيا ، فلنكف عن هذا الهراء ولنغلق المحل *

- من أدراك ، قد يكون أفضل حالا لو كانت معه زوجة *
- ان ابنة أخيه تعنى بحاله *
- أعرف ذلك . لقد قلت لك إنها هى التى أنقذته *
- أنا لا أتسنى أن أكون فى مثل سنه ، ان الكبر فى السن شىء مزعج *
- ليس دائما ، فهذا العجوز رجل نظيف ويشرب دون أن يريق النبيذ حتى وهو ثمل ، انظر اليه !
- لا أريد أن أنظر اليه . كم أتسنى أن يعود الى منزله !
- انه لا يلتقى بالا للذين يعملون *
- ونظر العجوز من فوق قدحه عبر الصالة المستديرة ، ثم الى النادلين ، ونادى مشيرا الى قدحه : مزيدا من البراندى !
- وذهب اليه النادل الشاب المتلهف على العودة وقال له : خلاص !
- لا مزيد الليلة .. سنغلق !
- وقال العجوز : كوبا آخر !
- كلا .. خلاص !
- ومسح النادل طرف الأذنة بمنشفة وهو يهز رأسه ، فنهض العجوز ببطء وعد بطاقات الحساب التى أمامه ثم أخرج حافظة نقود جلدية من جيبه ودفن ثمن المشروبات ، تاركها نصف « بيزيتة » كبقشيش . ونظر اليه النادل وهو يسير فى الطريق ..
- رجل بالغ الهرم يسير مترنحا وان يكن بوقار *
- وسأل النادل المسن زميله وهما يغلقان مصاريع النوافذ : لماذا

فقال النادل المعجوز : أنا من الذين يحبون البقاء في الحانة حتى وقت متأخر ، مع أولئك الذين لا يرغبون في العودة الى الفراش ، مع أولئك الذين يحتاجون للنور في الليل .

— أما أنا فأريد العودة الى منزلي وفراشي .
— اننا على طرفي نقيض .. انها ليست مسألة شباب وثقمة فقط ، مع أن هذه الأشياء جميلة . اني أبطيء في الاغلاق كل ليلة فربما كان هناك أحد في حاجة الى القهوة .
— يارجل ، هناك حانات كثيرة تظل مفتوحة طوال الليل .
— انك لا تفهمني ! هذه حانة نظيفة تشرح الصدر ، انها حسنة

الاضاءة ، والضوء شيء جميل !

قال النادل الشاب : سعدت مساء

وبعد أن أطفأ النور ، واصل النادل الآخر الحديث مع نفسه :
« أن النور هو المهم طبعاً ، ولكن يلزم أيضاً أن يكون المسكان نظيفاً بهيجاً ، الموسيقى غير ضرورية ، لا حاجة للموسيقى بكل تأكيد ، كما أن المرء لا يستطيع الشرب في إحدى الحانات مع الاحتفاظ بوقاره ، رغم أن تلك الأماكن هي التي تبقى مفتوحة في مثل هذه الساعات .. مم يخاف ؟ لم يكن خوفاً أو خشيّة ، بل هي لا شيئية يعرفها تمام المعرفة .. ان الأمر كله لا شيء ، والانسان أيضاً لا شيء ، ان الأمر كله كذلك ، ولا يحتاج الا الى النور وبعض النظافة والترتيب . ان بعض الناس يعيشون في اللاشيء دون انهم لا يشعروا أبداً بحقيقته .. أما هو فإنه كان

يعلم أنه لا شيء ثم لا شيء ، ولا شيء ثم لا شيء . لا شيئاً الذي في اللاشيء ، لا شيء اسك ، لا شيء ملكوتك ، لكن مشيئتك لاشيء في لاشيء ، كما هي في اللاشيء ، اعطنا هذا اللاشيء ، لا شيئاً اليومى .. ولا شيئاً في اللاشيء ، بل نجنا من اللاشيء من أجل لا شيء ! .. سلاماً أيضاً للاشيء الملىء باللاشيء .. لا شيء معك ! » .

وابتسم الرجل ، ووقف أمام إحدى الحانات في الطريق حيث كانت ثمة آلة معه لصنع القهوة تعمل بضغط البخار . وسأله البارمان :

— ماذا تطلب ؟

وأجاب : لا شيء !

فقال البارمان : مجنون آخر !

فقال النادل المسن ، كأساً صغيراً ..

وصب له البارمان كأساً ، وقال النادل :

— النور ساطع جداً ، ولكن البار غير مصقول !

فنظر اليه البارمان دون أن يجيبه ...

كان الوقت متأخراً لتبادل مثل هذا الحديث ..

وسأله البارمان : أتريد شيئاً آخر ؟

فقال النادل : كلا ، شكراً ! ثم خرج .

كان يكره البارات والحانات ، غير أن حانة نظيفة حسنة الاضاءة

شيء مختلف تماماً . والان ، بدون مزيد من التفكير سيعود الى

عشرة هنود



حجرته الموحشة ، ويرقد على الفراش ، ويستغرق في النوم أخيراً
مع تباشير صباح جديد ••
وقال لنفسه : على كل حال ، قد تكون هذه إحدى حالات
الأرق التي تصيب الكثيرين •

عشرة هنود

بعد أحد احتفالات عيد الرابع من يونيو ، من « نك » بتسعة
هنود سكارى على قارة الطريق ، وكان عائدا من المدينة الى منزله
فى وقت متأخر مع « جو جارتر » وأسرتة فى العربة الكبيرة •
ويذكر « نك » أنهم كانوا تسعة أشخاص ، لأن « جو جارتر »
جذب أخته الجياد وكان يقود العربة فى الغسق ، ودفن الى الأرض
على الطريق وجذب أحد الهنود من أمام مسار العجلات • وكان
الهندي نائما وقد دس وجهه فى الرمال • وجذبه « جو » بعيدا
الى ناحية الشجيرات وعاد ثانية الى مكان القيادة فى العربة •
قال « جو » : هذا يجعل عددهم تسعة • ما بين هذه المنطقة
وطرف المدينة •

قالت مسز « جارتر » : يا لهؤلاء الهنود ! •

وكان « نك » يجلس فى المقعد الخلفى مع ولدى جارتر • كان
يتطلع من مكانه فى المقعد الخلفى ليرى الهندي مقعيا حيث جذبه
« جو » بعيدا عن الطريق •

تساءل « كارل » : هل هو « بيللى تابلسو » ؟

— كلا .

— ان سرواله كبير يشبه سروال « ييللى »

— كل الهنود يرتدون سراويل متشابهة •

قال « فرانك » الابن الثاني لجن جارنر : لم أره بالمسرة •
لقد هبط بابا الهنود الطريق وعاد ثانية قبل أن أرى أى شيء • ظننت
أنه ذهب يقتل ثعبانا •

قال « جو جارنر » : يبدو لى أن كثيراً من الهنود سيقتلون
نعاين الليلة •

وقالت مسز جارنر : يا لهؤلاء الهنود !

وساروا فى طريقهم • والتوى خط السير عند الطريق الرئيسى
وسار مصعدا وسط التلال • وكان الحمل ثقيلًا على الجياد •
فنزول الأرواد وساروا على أقدامهم • كان الطريق رمليًا •
وتقطع « نك » من على قمة التل الى مبنى المدرسة • وشاهد
أنوار مدينة « يتوسكى » ، كما رأى أنوار مرفأ « سبرنجز » عبر
خليج « ترفيرس » الصغير • وعادوا مرة أخرى الى العربية •
قال « جو جارنر » : ينبغي لهم أن يثروا بعض الحصاء على
هذا الطريق •

وسارت العربية على طول الطريق وسط الغابات • وجلس « جو »

ومسز « جارنر » متجاورين فى المقعد الأمامى • وجلس « نك »

بين الصبيين • وخرج بهم الطريق الى الخلاء •

— هنا بالضبط داس بابا الثعبان بالعربة •

— كلا ، بعد ذلك •

فقال جو دون أن يدير رأسه • ان المكان الذى حدثت فيه
تلك الواقعة ليس هو المهم ، فبوسع المرء أن يدوس ثعبانا فى أى
مكان •

فقال « نك » : لقد رأيت ذئبين فى الليلة الماضية •

— أين ؟

— هناك عند البحيرة • كانا يبحثان عن الأسماك الميتة على
طول الشاطئ •

فقال كارل : ربما كانا مجرد قطين •

— بل كانا ذئبين • وأعتقد أنتى أعرف منظر الذئب •

فقال كارل : هذا أكيد ، فأنت تعرف فتاة هندية •

فقالت مسز جارنر : لا تقل هذا ياكارل •

— حسن • انهن يتساوين فى رائحتهن •

فضحك جو جارنر •

قالت مسز جارنر : كف عن الضحك يا جو • لا أريد لسكارل
أن ينطق بمثل هذا الكلام •

فسأل جو : هل تعرف فتاة هندية حقا يا « نك » ؟

— كلا •

فقال فرانك • بل يعرف يا بابا • ان اسمها « برودنس »

يمتثل •

— كلا .

— انه يراها كل يوم .

— كلا .

وشعر « نك » وهو يجلس بين الصبيين وسط الظلام بالخواء والسعادة فى داخلية نفسه لأنهم يخاولون استشارته حول موضوع « برودنس ميشل » .

قال : انها ليست فتاتى .

قال كارل : ماذا يقول . اننى أراهما معا كل يوم .

قالت الأم : ان كارل لا يستطيع أن يعرف أى فتاة ولا حتى هندية .

وحافظ كارل على هدوئه .

قال فرانك : ان كارل لا يستطيع التعامل مع الفتيات .

— اخرس !

قال جو جارنر . لا عليك يا كارل ، فالفتيات لا يعثرن على الشبان بسهولة هكذا . انظر الى والدك .

فقالت مسز جو وهى تدنو من جو مع اهتزازات العربة : أجل هذا مات قوله . حسن ، لقد عرف الكثير من الفتيات فى زمانك .

— أراهن أن بابا لم يصادف أبدا فتاة هندية

فقال جو : لا تظنن ذلك ! من الأفضل أن تسمى للابقاء على « برودنس » يا « نك » .

وهست زوجته بوضع كلمات ضحك لها جو .

تساءل فرانك : علام تضحك ؟

فحذرت زوجته قائلة : اياك أن تقول يا جارنر .

وضحك جو ثانية .

قال جو جارنر : فليبق « نك » على « برودنس » ، فان عندى أنا فتاة رائعة .

فقالت مسز جارنر : هكذا يكون الكلام .

كانت الجياد تشق طريقها بصعوبة فى الرمال . وفرقع جو بسوطه فى الظلام صائحا : هيا ، إلى الأمام . نسيتمين عليكم أن تجروا حملا أكبر من هذا غدا .

وركضوا هبوطا على طول التل ، والعربة ترتج . ونزل الجميع عند البيت . وفتحت مسز جارنر الباب ودلفت إلى الداخل ثم ظهرت ثانية وفى يدها مصباح . وأنزل « كارل » و « نك » الحاجيات من على ظهر العربة . وجلس « فرانك » فى المقعد الأمامى ليقود العربة الى المخزن ويحل وثاق الجياد . وصعد « نك » الدرجات وفتح باب المطبخ . وكانت مسز جارنر تشعل التبران فى الموقد . والتفتت بعد أن صبت الغاز على الأخشاب . قال « نك » : مع السلامة يامسز جارنر . شكرا على توصيلكم

إياى .

— أوه ، عفوا يا « نك » .

واستدار الى الدهليز الأمامى • ورأى والده من خلال النافذة
يجلس الى المائدة ، يقرأ فى ضوء المصباح الكبير وفتح « نك »
الباب ودلف إلى الداخل •

قال والده : حسنا يانك ، هل قضيت يوما طيبا ؟

— لقد أمضيت وقتا رائعا يا أبى • لقد كان احتفالا عظيما •
— هل أنت جائع !

— بالطبع •

— ماذا فعلت بهذائك ؟

— لقد تركته فى العربة عند أسرة جارنر •

— تعال الى المطبخ معى •

وسار والد « نك » فى المقدمة ومعه المصباح • وتوقف ورفع
غطاء صندوق الثلجات • ودلف « نك » الى المطبخ • وأحضر
والده قطعة من الدجاج البارد على طبق ، وabric من اللبن ،
ووضعهما على المائدة أمام « نك » • وأنزل المصباح •
قال : هناك فطيرة أخرى • هل يناسبك هذا ؟

— عظيم !

وجلس والده على مقعد الى جوار المائدة التى يغطيها المفروش
المشمع • وكان ظله يترامى ضخمان على جدار المطبخ •

— من ربح فى مباريات الكرة ؟

— فريق « بتوسكى » • خمسة لثلاثة •

وجلس والده يرقبه وهو يأكل ، ومأ كوبه من ابريق اللبن •

— لقد أمضيت وقتا رائعا •

— اننا نستمتع بصحبتك • الا تبقى قليلا لتناول بعض
العشاء ؟

— من الأفضل أن أرحل • أظن أن والدى فى انتظارى الآن •
— حسنا • هيا إذن • من فضلك ارسل لى « كارل » من

الخارج •

— حسنا •

— مساء الخير « يانك » •

— مساء الخير يامسز جارنر •

وخرج نك من العربة واتجه الى المخزن • وكان جو وفرانك
يجلبان الأبقار • قال نك : « مساء الخير • لقد كان وقتا رائعا •
فصاح جو جارنر : مساء الخير « يانك » • ألن تبقى لتناول
الطعام ؟

— كلا • لا أستطيع • هل لك أن تقول لكارل أن والدته

تريده ؟

— حسنا • مع السلامة « يانك » •

وسار « نك » عارى القدمين على المر خارج المروج التى تقع
خلف المخزن • كان المر صقيلا والندى رطبا تحت قدميه
العامرتين • وارتقى سورا عند نهاية المروج وهبط أخدودا وقدميه
مبلتين من طين المستنقعات ، ثم ارتقى طريقا فى غابة من أشجار
الخوخ الجافة الى أن شاهد أنوار الكوخ • وصعد على السور

وشرب « نك » ومسح فيه فى المنشفة . ومد والده يده الى
الرف ليحضر الفطيرة وقطع جزءا كبيرا « لنك » . كانت فطيرة
فراولة .

— وماذا فعلت أنت يا أبى ؟

— لقد ذهبت للصيد هذا الصباح .

— وماذا اصطدت ؟

— أسماك صغيرة ليس إلا .

— وجلس الوالد يرقب نك وهو يأكل الفطيرة .

وتساءل نك : وماذا فعلت بعد الظهر ؟

— ذهبت للنزهة عند المعسكر الهندى .

— وهل رأيت أحدا هناك ؟

— كان الهنود جميعا فى المدينة يعبون الخمر . .

— ألم تر أحدا على الاطلاق ؟

— رأيت صديقتك « برودنس » .

— وأين كانت ؟

— كانت فى الغابة مع « فرانك » و « شيرين » . قابلتهم

مصادفة . كانوا يلهون .

ولم يكن والده ينظر ناحيته .

— ماذا كانوا يفعلون ؟

— لم أتنظر لأرى .

— قل لى ماذا كانوا يفعلون ؟

قال والده : لا أعرف . لقد سمعتم يتحدثون ليس الا . . .

— وكيف عرفت أنهم هم ؟

— لقد رأيتهم .

— ظننت أنك قلت إنك لم ترهم ؟

— أوه ، بل رأيتهم .

فسأل نك : ومن كان معها ؟

— « فرانك » و « وشيرين » .

— وهل كانوا . . هل كانوا . .

— هل كانوا ماذا ؟

— هل كانوا سعداء ؟

— أعتقد ذلك .

ونفض والده من على المائدة وخرج من خلال ستارة الباب
الى المطبخ . وحين عاد مرة أخرى كان « نك » يحدق فى طبقه
كان يبكى .

وتناول والده السكين ليقطع الفطيرة : هل لك فى مزيد منها ؟

قال « نك » . « كلا .

— يحسن بك أن تأخذ قطعة أخرى .

— كلا ، لا أريد مزيدا .

ونظف والده المائدة .

سأل « نك » : وفى أى منطقة من الغابة كانوا ؟

— خلف المعسكر .

تلوح كليمنجارو



• وحقق نك في طبقه .
وقال والده : من الأفضل أن تأوى إلى الفراش يانك •

• حسنا •

وتوجه « نك » إلى غرفته ، وخلع ملابسه ودلف إلى فراشه •
وسمع والده يجول هنا وهناك في غرفة المعيشة • وردد « نك »
على الفراش فترة طويلة ووجهه مدفون في الوسادة • ونسى بعد
برهة كل فكرة عن « برودنس » ، واستغرق آخر الأمر في النوم •
وحين استيقظ في الليل سمع صوت الرياح تعصف وسط أحراج
الشوكران خارج الكوخ ، وموجات البحيرة تنكسر على الشاطئ ،
ثم استغرق في النوم مرة أخرى • وفى الصباح كانت الرياح
تعصف والأمواج تندافع على الشاطئ • • وبقي مستيقظا فترة
طويلة قبل أن يتذكر أن قلبه قد تحطم •

وجال في خاطره : ان قلبى قد تحطم • اذا كان ذلك هو شعورى
فلا بد أن قلبى قد تحطم •

وبعد برهة ، سمع والده يطفىء المصباح ويتجه الى غرفته •
وسمع الرياح تعصف وسط الأشجار فى الخارج وشعر بها تدلف
باردة خلال ستارة الباب • وردد فترة طويلة ووجهه مدفون في
الوسادة ، ونسى •••

تلوج كليسنجارو

كليسنجارو جبل تغطيه الثلوج ، ارتفاعه ١٩٧١٠ قدما ، ويقال أنه أعلى جبل في أفريقيا . وقمته الغريبة تسمى « ماساي نجاج نجاج » ، بيت الله . والى جوار القمة الغريبة ثمة جثة فهد جافة متجمدة . ولم يفسر أحد ما كان الفهد ينشد فى تلك الأعلى .

قال : الشئ المدهش أن الجرح غير مؤلم . وبذلك يعرف المرء متى يبدأ العفن .

— أحقا ؟

— بالتأكيد . ورغم ذلك فانى آسف للغاية على الرائحة . انها لابد تضايقتك .

— لا تقل هذا أرجوك . أرجوك .

قال : انظرى الى هذه الطيور . أهو المنظر أو الرائحة مايجعلها تأتي على هذا النحو ؟

كانت المحفة التى يرقد عليها الرجل تقع فى الظل العريض الذى تلقيه شجرة « ميموزا » ، واذ كان يتطلع عبر الظل الى وهج السهل ، كان ثمة ثلاثة طيور ضخمة جالسة القرفصاء فى

قال : لا أستطيع أن أنصت الى قراءتك • الكلام هو أسهل
شيء • إننا نتعارك وهذا يجعل الوقت يمر •

— اني لا أنعارك • انتي لا أريد أبدا أن أنعارك • دعنا لاتتعارك
بعد الآن أبدا • مهسا كنا عصبيين • ربما عادوا اليوم بشاحنة
أخرى • وربما تأتي الطائرة •

قال الرجل : لا أريد أن أتحرك • لا معنى هناك لأن أتحرك
الان الا كيما أسهل عليك الامور •
— ان هذا جبن •

— الا تدعين رجلا يموت بأقصى قدر مسكن من الراحة دون ان
تستسيه ؟ مافائدة شئناك لي الآن ؟

— انك لن تموت •

— لانكوني حقا • انني أموت الآن • اسألي هؤلاء الملاعين •
وتطلع الي حيث جلست الطيور الضخمة القذرة وراء وسهما العارية
ملاذفونة في ريشها المقوس • وهبط طائر رابع وطلق يجري بسرعة
ثم اتجه ببطء ناحية الطيور الثلاثة الأخرى •

— انها دائما تكون حيث توجد مخيمات • إنها لا تكاد تلاحظ •
لا يمكن أن تموت اذا لم تستسلم •

— أين قرأت هذا ؟ انك لحمقاء سخيقة •

— بإمكانك التفكير في شخص آخر •

قال : بحق الله ، ان هذه هي مهنتي •

وعندها اضطجع وهدأ بعض الشيء ، وتطلع عبر الواميض

بذاعة ، بينما حفنة أخرى منها تحوم في السماء ، ملقبة ظلالات
مهرة في مرورها •

قال : لقد جاءت منذ أن انكسرت الشاحنة • واليوم هو أول
مرة يهبط أي منها الى الارض • لقد راقبت طريقة طيرانها بدقة
في البداية ، فلربما احتجت الى استخدام ذلك في قصة أكتبها •
ولكن هذا يبدو مضحكا الآن •

قالت : أود لو لم تفعل •

قال : اني أنكلم لا غير • اني أشعر بتحسن حين أنكلم • ولكني
لا أود أن أضايقك •

قالت : أنت تعرف أن ذلك لا يضايقني ، انما قد أصبحت
عصبية للغاية لعدم استطاعتي عمل أي شيء • أعتقد أن علينا أن
نيسر الأمور قدر استطاعتنا الى أن تأتي الطائرة •

— أو الى أن لا تأتي !

— أرجوك قل لي ماذا بوسعي أن أفعل • لا بد أن هناك شيئا
أستطيع أن أقوم به •

— بإمكانك أن تبتري الساق وقد يوقف ذلك التعفن ، رغم
انتي أشك في ذلك • أو بإمكانك أن تطلقى على النار • انك ماهرة
في الرماية الآن • لقد علمتكم الرماية ، أليس كذلك ؟

— أرجوك ألا تتحدث هكذا • أليس بإمكانني أن أقرأ لك ؟

— تقرأين ماذا ؟

— أي شيء في حقبة الكتب التي لم تقرأها بعد •

الحار للسهل الى طرف الأجمة • كان هناك بعض العصافير الصغيرة
بدت منمنمة بيضاء مقابل اصفرار السهل ، وشاهد على البعد
قطيعا من الحمر الوحشية ، بيضاء مقابل خضرة الأجمة • كان
هذا مخيبا لطيفا مقاما تحت أشجار ضخمة فى مواجهة أحد
التال ، به مياه جاربة ، وبالتقرب منه عين ماء كادت تجف حيث
تطير منها كل صباح طيور الطهيوج •

سألت : ألا تود أن أقرأ لك ؟ ان هناك نسمة تهب •
كانت تجلس على مقعد من الخيش الى جانب محفته •
— كلا شكرا •

— ربما حضرت الشاحنة •

— أنا لا تهمنى الشاحنة فى شيء •

— أنها تهمنى أنا •

— انك تهتمين بأشياء كثيرة جدا لا تهمنى فى شيء •

— ليس كثيرا جدا يامارى •

— مارأيك فى شراب ؟

— من المفروض أن الشراب ضار بك • ان دليل «بلاك» الطبي

يقول بضرورة تجنب المشروبات الروحية • يجب ألا تشرب •

فصاح : مولوا ! (١)

— أجل يا « بوانا » (٢)

قالت : يجب ألا تفعل ذلك • هذا ماكنت أعنيه بالاستسلام •

(١) أى ياغلام باللغة المحلية

(٢) أى السيد باللغة المحلية

انه مذكر أن ذلك ضار بصحتك • انى أعرف أن ذلك ضار بك •
قال : كلا • ان ذلك مفيد لى •

وجال فى فكره أن الآن قد انتهى كل شيء • الآن لن تكون
أمامه فرصة أبدا كيما ينهى الكتاب الذى بدأه • هكذا انتهى
الأمر بعراك حول شراب • ومنذ نخرت الفنفرينة فى ساقه اليمنى
لم يعد يشعر بألم ، وذهب الخوف بذهاب الألم ، وكل ما يشعر
به الآن تعب شديد وغضب من أن يكون هذا هو نهاية الأمر •
ذلك أنه لم يعد يشعر بكثير حب استطلاع والنهاية آتية • لقد
تسلطت عليه سنين كثيرة ، ولكن لم تعد الآن تعنى شيئا فى حد
ذاتها • كان غريبا أن يتخلص من هذه الفكرة المستحوذة بسهولة
من شعوره بالتعب •

والآن لن يستطيع أبدا أن يكتب الأشياء التى ادخر كتابتها حتى
يعلم عنها مافيه الكفاية كيما يكتبها بحذق • حسن ، وهو لن
يفشل كذلك فى محاولة كتابتها • ربما لم يكن فى مستطاعك
أبدا كتابتها ، ولهذا أرجأت الأمر وأخرت البداية • حسن ، انه
لن يعرف الآن أبدا •

قالت المرأة : أتمنى لو لم تكن قد جئنا هنا •• كانت تنظر
اليه وهو يحمل الكأس وتعض على شفتيها •• « انك لم تكن
لتصاب بشيء من هذا فى باريس • كنت تقول دائما انك تحب
باريس • كان بوسعنا البقاء فى باريس أو الذهاب الى أى مكان •
كنت مستعدة للذهاب الى أى مكان • قلت اننى كنت مستعدة

للذهاب الى أى مكان تريد . لو كنت تريد الاصطياد كان بوسعنا
الذهاب الى هنغاريا حيث تكون مرتاحين » .

قال : « أموالك اللينة ! » .

قالت : هذا ليس عدلا . لقد كانت دائما أموالك بقدر ما هي
أموالى ، لقد تركت كل شيء وذهبت الى حيث تريد أن تذهب
وفعلت ما تريد أن تفعل . ولكنى أتسنى لو لم تكن قد جئنا هنا .
— لقد قلت انك تحبين ذلك .

— كنت أحبه حينما كنت أنت على مايرام . ولكنى أكرهه
الآن . اننى لا أفهم لماذا يجب أن يحدث هذا لساقك ؟ ماذا فعلناه
كيما نستحق أن يحدث هذا لنا ؟

— أظن أن ما فعلت هو أننى نسيت أن أضع اليود على المكان
الذى حككته أول مرة . ثم لم ألتفت اليه بعد ذلك لأننى لا أصاب
أبدا بالعدوى . وبعدئذ ، حين تعقدت الأمور ، ربما كان استعمال
محلول الفينيك الخفيف ذاك ، حين نفذت جميع المطهرات الأخرى ،
هو الذى شل الأوعية الدموية الدقيقة وبدأ الغنغرينة « ونظر
اليها ثم قال « ماذا غير ذلك !

— انى لا أعنى ذلك .

— لو أننا استخدمنا ميكانيكا ماهرا بدلا من السائق غير
المدرّب ، لكان قد فُحص الزيت ولما كان قد حرق أبدا محصل
الكريات فى الشاحنة .

— انى لا أعنى ذلك .

— لو أنك لم تهجرى أهلك ، أهل مقاطعات « أولد وستبرى »
و « ساراتوجا » و « بالم بيتش » الملاعين كيما تحببني .. ؟
— لقد أحببتك . هذا ليس عدلا . اننى أحبك الآن . سوف
أحُكك دائما . ألا تحببني ؟

قال الرجل : « كلا . لا أظن ذلك . اننى لم أحبك أبدا » .
— ماذا تقول ياهاىرى ؟ أنك قد خرجت عن عقلك .

— كلا . ليس لدى عقل حتى أخرج عنه !

قالت : لا تشرب هذا . أرجوك يا حبيبى ألا تشرب هذا .
يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا .

قال : افعلى أنت ذلك . أنا متعب .

والآن ، فى خياله ، رأى محطة سكك حديدية فى « كاراجاتش »
وكان واقفا فيها ومعه صرة أمتعه . وكان النور الامامى للقطار
يقطع الظلمة الآن ، وهو يعادر منطقة « تراس » بعد الانسحاب .
كان ذلك أحد الأشياء التى ادخرها ليكتب عنها بعد ذلك . فى
الصباح عند الافطار اذ يتطلع من النافذة ويرى الثلج على الجبال
فى بلغاريا وسكرتيرة « نانسن » تسأل الرجل المعجوز اذا كان ذلك
ثلجا فينظر المعجوز ويقول لا ، ليس هذا ثلجا ، الوقت مبكر
لنزول الثلج . والسكرتيرة تردد على مسامع الفتيات الأخريات :
كلا ، أترين ، انه ليس ثلجا ، وهن جميعا يصحن أنه ليس ثلجا ،
لقد كنا مخططات . ولكن الحقيقة هى أنه كان ثلجا ، وقد بعثهن
ذلك الضابط المعجوز يخضن فيه حين عقد اتفاقية تبادل السكان .

رقد كان ثلجا ما وطنه هناك الى أن متن جميعا ذلك الشتاء .
ولقد كان ثلجا أيضا ذلك الذى هطل طيلة أسبوع عيد الميلاد
تلك السنة هناك فى « جاروتال » ، تلك السنة كانوا يقيمون فى
منزل قاطع الأشجار وفيه الموقد الصينى المربع الكبير الذى احتل
نصف الحجرة ، وكانوا ينامون على حشاي من ورق أشجار الزان ،
فى ذلك الوقت الذى جاء فيه الجندى الهارب وقدماه دامتان
على الثلج . قال ان الشرطة تطارده فأعطوه جوارب من الصوف
وشغلوا رجال الدرك بالتحدث اليهم الى أن انمحت آثار الأقدام
بفعل الرياح .

وفى « شرونز » ، يوم عيد الميلاد ، كان الثلج باهرا لدرجة
تؤذى العين ، حين ينظر المرء من الحانة ويرى الناس تعود الى
بيوتها من الكنيسة . كان ذلك حيث سعدوا فى الطريق الذى
مهدهم الزحافات ذات اللون الأصفر على طول النهر وتلال أشجار
الصنوبر شديدة الانحدار ، وأدوات الانزلاق على الجليد فوق
أكتافهم ، وحيث جروا ذلك الجرى الشديد عبر الطريق الجليدى
عند منزل « مادلتر » ، والثلج منبسطة كالعكة يحيط بها الصقيع ،
والندف تهبط خفيفة كالبودرة . واستعاد فى ذهنه الاندفاع
الصامت الناتج عن السرعة اذ يهبط المرء كالطائر وهو ينزلق على
الجليد .

كان الثلج قد احتجزهم طوال أسبوع فى منزل « مادلتر »
ذلك الوقت عندما هبت العاصفة ، فأخذوا يلعبون الورق ومط

الدخان على ضوء القنديل ، وكانت الرهانات تزداد كلما زادت
خسارة المرء « لت » . وأخيرا خسر كل شيء . كل شيء : نقود
مدرسة الانزلاق على الجليد وكل مكسب الموسم ثم خسر رأسماله
نفسه . وكان باستطاعته أن يراه بأفقه الطويل يلتقط الورق ثم
يفتح لعبة « عياء » . كان يوجد دائما ألعاب قمار وقتها . وحين
لا يكون هناك ثلج ، نقامر ، وحين يكون هناك ثلج أكثر من اللازم
نقامر . وفكر فى الوقت الذى قضاه يقامر على طول حياته .

ولكنه لم يكتب سطرًا عن ذلك ، ولا عن يوم عيد الميلاد ذلك
البارد الباهر والجبال تترامى عبر المسهل حين طار جونسون عبر
الخطوط ليقتل القنابل القطار الذى يقل الضباط النمساويين
الحاصلين على أجازة ، ويحصدهم بمدافعهم حين اتشروا يجرون .
وتذكر اذ جاء جونسون بعد ذلك الى حجرة الطعام وأخذ يحكى
القصة وكيف ساد الصمت بعد ذلك ، ثم أحدهم يصيح :

أيها الوغد القاتل اللعين !

وكان هؤلاء النمساويون الذين قتلوهم آنذاك هم نفس
النمساويين الذين شاركهم الانزلاق على الجليد بعد ذلك . كان
« هانز » - الذى انزلق معه طوال تلك السنة - ضابطا فى
قوات القيصر ، وحين ذهب معا لصيد الأرانب البرية هناك عند
تل الصغير وراء طاحونة نشر الخشب ، تحدثا عن القتال فى
« باسويو » وعن الهجوم على « برتيكا » و « أسالون » ، وهو
لم يكتب بعد حرفا عن ذلك . ولا عن « موتى كورنو » ولا عن

« سیتی كومون » ولا عن « أرسيدو » .

كَمْ شتاء عاشه فى نزكى « فوراك » و « آرل » ؟ أربعة شتاءات . ثم تذكر الرجل الذى كان يعرض ثعلبا للبيع حين كان يسير مع زوجته فى بستان « بلودنز » ، يستهدفان شراء هدايا هذه المرة ، وطعم الكريز من شراب « الكيرس » المعتق ، والاندفاع المنفلس لمسرى بودرة الثلج على قشرة الأرض ، وهى تغنى « هاى هو ! » اذ المرء يجرى آخر مسافة نحو الثلج المصمت ، ثم يجرى قاطعا البستان فى ثلاث دورات ويخرج عبر الحفرة وعلى الطريق الجليدى وراء النزل . ثم يحل المرء أربطته ويخلع عنه زحافتى الانزلاق ويسندها الى حائط النزل الخشبي ، بينما يتبدى ضوء المصباح من النافذة . وفى الداخل ، فى وسط الدفء الداخن الذى يعقب برائحة النيذ الطازج ، كان ثمة من يعزف على الأوكورديون .

وسأل المرأة التى كانت تجلس الى جواره فى مقعد من الخيش ، الآن ، فى أفريقيا : أين نزلنا فى باريس ؟

— فى فندق « كريون » . أنت تعرف ذلك .
— ولماذا تظنين أننى أعرف ذلك !

— اننا نزل دائما هناك .

— كلا . ليس دائما .

— هناك وفى « بافيلون هنرى الرابع » فى سان جرمان . لقد

قلت انك تحب ذلك الفندق .

فقال « هارى » : الحب كومة قاذورات . وأنا هو الديك الذى يقف فوقها كيما يصيح .

قالت : هل من الضرورى اذا تعين عليك أن ترحل أن تقتل كل شيء تخلفه وراءك ؟ أعنى ، أتعين عليك أن تأخذ معك كل شيء ، أعليك أن تقتل جوادك وزوجتك وتحرق سرجك ودرعك ؟ قال : أجل . ان تقودك اللعينة كانت درعى . طيرى ودرعى .
— لا تقل هذا .

— وهو كذلك . سأكف عن قول ذلك . لا أريد أن أجسرح شعورك .

— لقد جاء ذلك متأخرا شيئا ما .

— وهو كذلك اذن . سوف أمضى فى جرح شعورك . انه يزيد من تسليتى . ان الشيء الوحيد الذى أحببت حقا أن أفعله معا لا يسكننى أن أفعله الآن .

— كلا ، هذا ليس صحيحا . لقد كنت تحب أشياء كثيرة ، ولقد نفذت كل ماكنت تريدنى أن أفعل .

— أوه ، بحق الله كفى عن هذا الشقاق .

ونظر اليها فراها تبكى .

قال : اسمعى . هل تظنين أننى أحب ذلك ؟ اننى لا أعرف لماذا أفعل ذلك . أظن أنه شبيه بمحاولة القتل كيما يستمر المرء عليه قيد الحياة . لقد كنت على مايرام حين بدأنا الحديث . انى لم أقصد أن أبدا هذا الشقاق ، والآن ها أنا أبدا احقق كالبهاء .

— كلا .

كانت قد ذهبت لتصطاد قطعة من اللحم ، ولما كانت تعلم مدى شغفه بمراقبة مشهد الصبد فقد ذهبت بعيدا كيما لا تسبب ضوواء فى ذلك الجانب من السهل على مرمى ابصاره . وجال فى خاطره أنها دائما ترعى مشاعره ، فى أى شىء تعرفه أو تكون قد قرأته او سمعته .

لم تكن غلظتها أنه حين عرفها كان قد استنفد بالفعل . كيف يتأنى لامرأة أن تعرف أنك لا تعنى شيئا مما قلت ، وانك لم تقل ماقلت الا بدافع العادة وكيما تحقق راحتك ! وحين لم يعد يعنى مايقول ، لاقت أكاذيبه نجاحا بين النساء أكثر مما كان يلاقى حين كان يخبرهن بالحقيقة .

لم يكن الأمر أنه يكذب ، أكثر منه عدم وجود حق يقال . لقد عاش حياته وانتهى ثم عاد يحيها من جديد مع أناس مختلفين ومزيد من المال ، فى أفضل معاehده من الأماكن ، وفى أماكن جديدة عليه أيضا .

كنت تتحاشى التفكير وكان كل شىء رائعا . كنت مزودا بباطن قوى ، حتى أنك لم تتمزق شعاعا مثلهم مثل ماحدث لمعظمهم ، واتخذت موقفا بالأ تعبر العمل الذى تعودت أن تعمل اهتماما ، الآن حين لم يعد بإمكانك أن تقوم به . غير أنك قلت فى داخلك أنك ستكتسب عن هؤلاء الناس ، عن المتخمين بالثروات ، وأنت لست منهم فى واقع الأمر ، بل جاسوس فى بلدهم ، وأنت سوف

وأشد ما أكون فسوة معك . لا تلقى بالا يعزيتى الى ما أقول . انى احبك حقا . أنك تعرفين أنى احبك . انى لم أحب أحدا قط كما أحببتك .

وانزلت الى الكذبة الموهودة التى يلجأ إليها لئلا أغراضه .
— انك طيب معى .

قال : أيتها اللعينة . أيتها اللعينة الثرية . ذلك شعر . انى أبيض شعرا الآن . سقما وشعرا . شعرا سقيما .

— كف عن ذلك يا « هارى » . لماذا يتعين عليك أن تتحول الى شيطان الآن !

قال الرجل : انى لا أحب أن أخلف أى شىء . لا أحب أن أخلف شيئا ورأى .

كان الليل قد انسدل الآن وكان قد نام قليلا .

كانت الشمس قد غابت وراء التل ، وثمة ظل يحوم عبر السهل وصغار الحيوانات تأكل بالقرب من المخيم : رعوس سريعة محنية وذبول متحركة . وراقبها وهى تقيم فاصلا بينه وبين الأجمة الآن . ولم تعد الطيور تنتظر على الأرض ، بل كانت كلها تجثم فى ثقل على احدى الأشجار . كان هناك المزيد منها . وكان خادمه الصبى يجلس الى جوار محفته .

قال الصبى بانجليزيتة الركيكة : ذهبت « مصاحب » (١)

لتصطاد . هل « بوانا » يريد شيئا ؟

(١) تعنى السيدة باللغة المحلية

تتركهم وتكتب عنهم ، حتى يكتب عنهم أخيرا واحد يعرفه حقيقة
ما يكتب عنه . ولكنه لم يكتب ذلك اطلاقا ، لأن كل يوم من
عدم الكتابة ، من الراحة والنعيم ، من طريقة العيش التي يحتقرها ،
يضعف من قدرته ويوهن من ارادته على العمل ، حتى أنه - في
النهاية - لم يكتب أبدا . ان معارفه قد ازدادوا راحة حين لم يعد
يكتب . وأفريقيا هي المكان الذي شعر فيه بأشد سعادة في أحسن
أوقات حياته ، لذلك فقد ذهب الى هناك كيما يبدأ من جديد .
ولقد ترتب أمر هذه الرحلة بأقل قدر من وسائل الراحة . لم يكن
هناك من صعوبات ، ولكن لم يكن هناك أى ترف . وظن أن بوسعه
العودة الى الكتابة بالتمرين على هذه الصورة . ظن أن بوسعه -
على نحو ما - أن يزيل الصدا الذي ران على روحه ، كما يفعل
الملاكم حين يذهب الى الجبال ليعمل ويتمرن كيما يحرق الشحم
من جسده .

كانت تحب ذلك منه . قالت انها تحب ذلك . كانت تحب أى
شئ مشير ، أى شئ يتضمن تغييرا فى الصورة ، حيث أناس جدد
وحيث الأمور سارة . وقد شعر متوهما بعودة قوة الارادة الدافعة
له على العمل . أما وأن الأمور قد انتهت إلى هذا ، وكان يعلم
أنها النهاية ، فعليه ألا يتحول الى ذلك الثعبان الذى يعض نفسه لأن
ظهره قد انكسر . لم يكن ذلك ذنب هذه المرأة . لو لم تكن هي
لكانت أخرى . لو أنه عاش على آكدوبة فيجب أن يحاول أن
يموت عليها .

وسمع طلبة فيما وراء التل .

كانت بارعة فى الصيد ، هذه اللعينة الثرية الطيبة ، هذه التي
رعت موهبتها فى حنان ، وهى التي دمرتها فى نفس الوقت . هراء
لقد دمر موهبته بيده . لماذا يتعين عليه القاء اللوم على هذه المرأة
لرعايتها اياه حق الرعاية ؟ لقد دمر موهبته بعدم استعمالها ، بخيانة
نفسه وبخيانة معتقداته ، بالافراط فى الشراب حتى اثلثت أطراف
مداركه ، بالكسل ، بالخمول ، بالعنجهية ، بالكبرياء والهوى ،
بكل الوسائل . ماهذا السرد ؟ كنالوج كتب قديمة ؟ وما هي
موهبته على أية حال ؟ انها موهبة أى نعم ، ولكنه - بدلا من
أن يستخدمها - تاجر فيها . انها لم تتمثل أبدا فيما أنجزه ، بل
فيما يستطيع انجازه . ولقد اختار أن يكسب عيشه عن طريق
آخر غير القلم والورق . وكان من الغريب أيضا - أليس كذلك
- أنه كلما كان يقع فى حب امرأة جديدة ، يكون لديها مال أكثر
مما لدى المرأة السابقة عليها . بيد أنه حين لم يعد يشعر بالحب ،
حين أصبح كذوبا فحسب ، كما يحدث الآن مع هذه المرأة
التي لديها أكبر قدر من المال ، التي لديها المال كله والتي كان
لديها زوج وأولاد ، والتي كان لها عشاق لم ترض عنهم ، والتي
أحبته حبا صادقا بوصفه كاتباً وانسانا وصديقا ، وبوصفه من
ثمين المقتنيات ، من الغريب أنه حين لم يكن يحبها على الاطلاق
كان كذوبا فى ادعائه الحب ، استطاع أن يعطى مقابل النقود
أكثر مما كان يعطى عادة بدافع الحب الحقيقي .

وجال في خاطره أنه لا بد أننا قد خلقنا مهينين لما فعل ، والمرة مع ذلك نكسب عيشه من مواهبه . لقد باع حيويته ، بشكل أو بآخر ، طوال حياته ، وعندما لا يكون لعواطفه شأن بعلاقاته فإنه يوجه اهتماما أكبر للمال . لقد اكتشف ذلك ، ولكن ليس بوسعه الآن أن يكتب عنه . كلا ، أنه لن يكتب عن ذلك الأمر ، رغم أنه يستحق .

ثم تجيء هي في الصورة الآن - في أفريقيا - تسير عبر الفضاء المكشوف تجاه المخيم . كانت ترتدى ملابس الصيد وتحمل بندقيتها . وكان كل من الصبيين يحبل مدفعا رشاشا ، ويسيران خلفها . وجال بفكره أنها لا تزال امرأة جميلة ، وجسمها لطيف ، وكانت ذات موهبة عظيمة في أمور الحب والغرام . لم تكن بالحسنة ، ولكنه يجب وجهها ، كما أنها تقرأ بشراهة ، وتحب ركوب الخيل والصيد ، وهي بالتأكيد تفرط في الشراب . كان زوجها قد مات وهي لا تزال على درجة من الشباب ، فكرست نفسها وقتما ما ولديها الفتيين ، اللذين لم يكونا بحاجة إليها ويشعران بالحرَج وهي معها ، ولملتكانها من الخيول ، وللكتب ، ولزجاجات الشراب . وكانت تحب أن تقرأ في المساء قبل تناول العشاء ، وتشرب الويسكي بالصودا وهي تقرأ . وحين يحل وقت العشاء تكون قد ثملت الى حد ما ، أما بعد زجاجة من النبيذ مع الطعام فانها تكون ثملة بما يكفي للذهاب الى النوم .

كان ذلك قبل مرحلة العشق . فبعد أن اتخذت عشاقا لم

تعد تفرط في الشراب لأنها لم تعد مضطرة الى الشرب كيما تنام . ولكن عشاقها كانوا يبعثون فيها الملل . لقد كانت زوجه لرجل لم يثر فيها مللا على الاطلاق ، ولكن هؤلاء الناس أضجروها الى حد بعيد .

ثم حدث أن قتل أحد ولديها في حادث طائرة ، ولما مضى وقت على ذلك لم تعد بحاجة الى عشاق ، وكان عليها أن تولد من جديد لأن الشراب لم يعد يخفف من آلامها ، وتمسكها رعب فجائي من الوحدة . الوحدة . ولكنها كانت تريد الى جوارها شخصا تحترمه .

وبدأ الأمر بسيط للغاية . كانت تحب ما يكتب وكانت دائما تحسده على الحياة التي يحيها . كانت تعتقد أنه يفعل ما يريد تماما . ولقد كانت الخطوات التي حازته عن طريقها ، والطريقة التي وقعت بها أخيرا في غرامه جزءا من سلسلة منتظمة أقامت بها لنفسها حياة جديدة بينما باع هو ما تبقى له من حياة سابقة .

لقد باعها مقابل الأمان ، ومقابل الرفاهية أيضا ، لا سبيل الى انكار ذلك . ومقابل ماذا أيضا ؟ انه لا يعرف . انها كانت لتجلب له أى شيء يريد ، كان يعرف ذلك . ولقد كانت امرأة لطيفة ، ولعينة في نفس الوقت . وقد كان يفضل حبها على حب أى واحدة أخرى ، هي ، لأنها أغنى ، لأنها لطيفة جدا وحساسة ، ولأنها لم تثر عليه مطلقا . والآن ، فان هذه الحياة الجديدة التي شيدها لنفسها تؤذن بالنهاية لأنه لم يستخدم صبغة اليود منذ

أسبوعين حين دخلت شوكة الى ركبته بينما هم يهرعون لتصوير
قطيع من ذكور الظباء تقف رافعة الرأس ، تحديق أمامها وخياشمها
تطالع الهواء ، وآذانها ترهف السمع استرقاقا لأول ضوء
ترسل بها مهطعة داخل الغابة . وقد سقط أيضا على الأرض قبل أن
ينجح في التقاط الصورة .

هاهي قد حضرت الآن .

وأدار رأسه على المحفة كيما ينظر إليها . قال :

— أهلا .

فقال له : لقد اصطدت كبشا . سوف أحضر لك مرقا دسما ،
وسوف أجعلهم يعدون لك بطاطس مهروسة . كيف حالك الآن ؟

— أفضل بكثير .

— أليس هذا رائعا ؟ كنت على يقين من ذلك . لقد كنت نائما
حين خرجت .

— لقد نمت نوما عميقا . هل توغلت كثيرا في الغابة ؟

— كلا . وراء التل لا غير . لقد اصطدت الكبش بطلقة في
الصميم .

— انك بارعة في التصويب .

— اني أحب الصيد . لقد أحببت افريقيا . لو أنك كنت على
ما يرام لكاتت هذه الرحلة أفضل رحلاتي . انك لا تعلم أى متعة

أحس بها بالصيد معك . لقد أحببت هذا البلد .

— اني أحبه أيضا .

— يا حبيبي ! انك لا تعلم كم هو رائع أن أرى حالك يتحسن .
إنى لا أحتمل غضبك . عدنى أنك لن تكلمنى غاضبا كما فعلت
سابقا ؟

قال : أجل . انى لا أذكر ماقلت .

— انك لست مضطرا الى تدميرى . ما أنا الا امرأة فى منتصف
العمر تحبك وتريد أن تفعل ما تحب . لقد سبق لى أن دمرت
مرتين أو ثلاث مرات . انك لن تريد دمارى مرة أخرى .

قال : انى أود أن أدمرك مرات عدة غراما وهياما .

— أجل . هذا هو الدمار الحسن . هذه هى الطريقة التى
خلقتنا كى ندمر بها . ستكون الطائرة هنا غدا .

— كيف تعرفين ؟

— انى متأكدة من ذلك . لا مقر من وصولها . ولقد جهز
الأولاد الأخشاب والحشائش لتمييز مكان الهبوط . لقد ذهبت
الى هناك ورأيت المهبط مرة أخرى اليوم . هناك متسع من
المكان للهبوط وقد جهزنا العلامات على الجانبين .

— ما الذى يجعلك تعتقدين أنها ستصل غدا ؟

— انى متأكدة من ذلك . لقد حان موعد وصولها منذ فترة .
وعندئذ سوف يعالجون ساقك ثم يتهاى لنا أن ندمر نفسينا
غراما . ولن نعود الى ذلك الحديث المرعب .

— هل لنا فى كأس ؟ لقد غربت الشمس .

— أتظن أن ذلك مناسب ؟

— انى أتناول كأسا الآن •

— اذ ، سنشرب معا • وهتفت باللغة المحلية :

يا غلام ، اثنين ويسكى بالصودا •

وقال لها : يحسن بك ارتداء حذاء الرقبة الواقى من الناموس •

— سأنتظر حتى أستحم •••

وشربا معا بينما الظلمة تتكاثف • وقبل أن ينسدل الظلام

ولا يعود هناك ما يكفى من الضوء للصيد ، عبر ضبع الخلاء

أمامهما فى طريقه للدوران حول التل •

قال الرجل : هذا اللعين يمر من هنا كل ليلة • كل ليلة طوال

أسبوعين •

— انه ذلك الذى يصيح فى الليل • لا يهمنى ذلك • رغم أنه

حيوان قذر •

وكان باستطاعته ، اذ هما يشربان معا وليس ثمة من ألم سوى

غناء الاضطجاع فى وضع واحد ، واذا الصبية يوقدون نارا تتقاذف

ظلالها على المخيمات — أن يشعر بعودة التوافق الى هذه الحياة

المتشكلة فى الاستسلام اللذيذ • انها طيبة جدا معه • وكان هو

قاسيا وظالما تجاهها هذا الاصيل • انها امرأة ممتازة • رائعة حقا •

وعندئذ خطر له أنه سوف يموت •

جاءه هذا الخاطر مندفعا ، ليس كاندفاع المياه أو الرياح ،

بل على صورة فراغ فجائى يعقب بالشر ، والشئ الغريب أن الضبع

كان يواكب حافة ذلك الخاطر •

سألته : ما الأمر يا « هارى » ؟

قال : لا شئ • يحسن بك أن تتحولى الى الجانب الآخر •

ناجبة الريح •

— هل بدل الغلام أعطيه الفراش ؟

— أجل • اننى أستخدم حامض البوريك الآن •

— وكيف تشعر ؟

— مهزوز شيئا ما •

قالت : سوف أذهب الآن لأستحم • وبعد ذلك سأكل معك

ثم ندخل محفتك الى الخيمة •

قال لنفسه أنها أحسنا صنعا بالكف عن الشجار • انه لم يتشاجر

أندا لمدة طويلة مع هذه المرأة ، بينما كان يتشاجر مع النساء اللائى

أحبهن حبا صادقا ، شجارات طويلة لدرجة مات معها كل شئ جبيل

بينه وبينهن • لقد أحب أكثر من اللازم ، وطلب أكثر من اللازم ،

وضيع كل شئ •

وفكر فى ذلك الوقت عندما كان وحيدا فى مدينة القسطنطينية ،

بعد أن تشاجر فى باريس ورحل • وتردد أولا على العاهرات ، وحين

انتهى من ذلك ولم ينجح فى قتل شعوره بالوحدة بل زادها سوءا ،

كتب لها • الأولى التى هجرته ، خطابا يخبرها فيه كيف أنه لم

ينجح أبدا فى قتل حبا فى قلبه •• وكيف أنه ظن ذات مرة أنه

براهم خارج فندق « الريبجنس » فكاد أن يغى عليه وشعر

بالدوار ، وكيف أنه يتسم أى امرأة تشبهها فى أى شئ ، على

عند مطلع النهار وتوجه الى « بيرا بالاس » بعين سوداء وهو يحمل معطفه على ذراعه لأن أحد ردفيه قد تمزق .
ورحل في نفس تلك الليلة الى الأناضول . وتذكر كيف كان التطار خلال الرحلة يخترق حقول الخشخاش التي يزرعونها للحصول على الأفيون ، والشعور الغريب الذي يبعثه المنظر في النفس ، وكيف تبدو جميع المسافات خائفة ، ثم تذكر الهجوم الذي شنوه مع ضباط التسطنطينية الذين وصلوا حديثا والذين لم يكونوا يعرفون شيئا قط ، وكيف أطلقت المدفعية النيران على القوات ، والمراقب البريطاني وهو يبكي كالطفل .

كان ذلك هو يوم شاعد لأول مرة رجال موتى يرتدون تنورات الباليه البيضاء وأحذية مقلوبة عليها كريات صوفية . وكان الأتراك يتقدمون باطراد وبثقل ، وشاهد الرجال ذوى التنورات يجرون والضباط يطلقون عليهم النار ثم يجرون هم أنفسهم ، وجرى هو والمراقب البريطاني أيضا حتى آلمته رائته وامتلأ فسه بطعم الماراة . وتوقفا وراء بعض الصخور وخلفهم كان الأتراك يتقدمون بثقلهم المعهود . وشهد بعد ذلك الأشياء التي لم يكن يقدرته أن يفكر فيها ، وشهد بعدها أيضا أشياء أسوأ بكثير .
ولذلك فانه حين عاد الى باريس تلك المرة لم يستطع أن يحكى عن تلك الأشياء أو أن يتحمل ذكرها . وهناك ، حين كان يدور أمام المقهى كان يرى ذلك الشاعر الأمريكى جالسا وأمامه كوم مسن الألباق وعلى وجهه البطاطسى ترتسم لظسرة لهاب ، يتحدث عن

طول الوليفار ، خائفا أن يكتشف أنها ليست هي ، خائفا أن يفقد الشعور الذي يهبه له هذا الظن ، وكيف أن أى امرأة عرفها جعلته يفتقدها أكثر وأكثر ، وكيف أنه لا يهيم أى شىء فعلته لأنه يعرف أنه لا يستطيع أبدا مداراة نفسه من غرامها . وكتب هذا الخطاب فى النادى ، فى هدوء واتزان ، وبعثه الى نيويورك طالبا منها أن تراسله على عنوان مكتب عمله فى باريس . بدا له هذا آمنا . وفكر فى تلك الليلة التى اشتد فيها شوقه اليها حلاى ملا نفسه بالفراغ والنشيان ، ففطق يدور أمام محل « مكسيم » ، ثم تعرف على فتاة أخذها معه للعشاء . وبعد ذلك ذهب معا يرقصان ، وكانت لا تحيد الرقص ، فتركها ليرقص مع أرمينية حسنا احتضنته بذراعيها . وأخذها من جندى بريطانى بعد عراك معه . وطلب منه الجندى أن يذهب معه الى الخارج وتعاركا فى الشارع على البلاط وسط الظلام . وضربه مرتين ، بشدة ، على جانب الفك ، ولما لم يسقط عرف من فوره أن المعركة ستكون طويلة . وضربه الجندى فى بطنه ، ثم الى جوار عينه . وتطوح واقعا ، وهجم عليه الجندى ومزق رذن معطفه ، ولكنه لكم الجندى مرتين وراء أذنه ثم طوحه بعيدا عنه مهشما اياه بقبضته اليمنى . وحين سقط الجندى عنه ، ارتطمت رأسه بأحجار الطريق أما هو فجرى سريعا بالفاتة لأنها سعا الشرطة الحربية فى الطريق اليهم . ودلغا الى عربة آجرة وذهبا الى فندق « هيسا » على ضفاف البوسفور حيث أمضيا ليلتهما . وتركها وحدها

حركة الدادائية مع روماني يقول ان اسمه « تريستان تزارا »
 برتدى دائما مونوكلا ويشكو الصداع . ثم هناك فى الشقة مع
 زوجته التى عاد اليه حبا مرة أخرى ، وانتهى كل الشجار ، وانتهى
 كل الغضب ، سعيدا بعودته الى بيته ، ومكتبه يرسل له بريده
 الى الشقة . وهكذا ، يوما ما ، وصل الخطاب الذى يرد علي:
 الرسالة التى سبق أن بعثها الى صديقته ، على صحيفة ذات صباح
 وحين رأى الخط تجسد جسده كله وحاول أن يدس الخطاب
 تحت خطاب آخر . ولكن زوجته صاحت به : ممن هذا الخطاب
 يا عزيزي ؟ وكان هذا نهاية بداية ذلك الموضوع .

عادت الى ذمته الأوقات الجميلة معهن جميعا ، والمشاجرات .
 كن دائما يختزن أحسن الأماكن كيما يبدآن فيها الشجار . ولماذا
 كن يتشاجرن حينما يكون هو فى أفضل حالاته ؟ انه لم يكتب
 أبدا عن ذلك لأنه ، فى البداية ، لم يكن يريد أن يسبب ألما
 لأى منهن ، وكذلك لأنه كان هناك ، فيما يبدو ، موضوعات
 كثيرة أخرى يكتب عنها . ولكنه كان يعتقد أنه سوف يكتب
 أيضا عن تلك الموضوعات الأخرى يوما ما . كان هناك الكثير
 مما يصلح للكتابة . لقد رأى العالم وهو يمر بنقطة تحول ،
 لا الأحداث فحسب - رغم أنه رأى الكثير من الأحداث وراقب
 اناس فيها ، ولكنه كان يرى أيضا التحول الدقيق ويستطيع أن
 يتذكر كيف كان حال الناس فى أوقات مختلفة . لقد عاش
 ذلك ورصده ومن واجبه أن يكتب عنه ، ولكنه الآن لن يفعل

• ذلك أبدا •

قالت : كيف حالك الآن ؟ كانت قد خرجت من الخيبة بعد
 أن استحمت •

— على مايرام •

— أيسكنك أن تأكل الآن ؟

ورأى الصبي خلفها يحمل المنضدة الصغيرة والصبي الآخر
 يحمل الأطباق •

قال : أريد أن أكتب •

— يجب أن تتناول بعض المرق كيما يشد أزرك •

قال : سوف أموت الليلة • لا حاجة لى شىء أزرى •

قالت : لا تبالغ فى الأمور ياهارى أرجوك •

— لماذا لا تستخدمين أنفك ؟ لقد تعفن نصف فخذى الآن .
 لماذا بحق الجحيم أتناول المرق ؟ يا غلام : احضر لى ويسكى
 بالصودا •

فقالت برقة : أرجوك أن تتناول المرق •

— حاضر •

وكان المرق ساخنا جدا وتعين عليه أن يسك بالفنجان الى أن
 برد بما فيه الكفاية ثم دفعه الى جوفه دون أن يتذوقه •

قال : انك امرأة لطيفة • لا تلقى بالا لما أقول •

ونظرت اليه بوجهها الحبيب المعروف الذى طالما ظهر فى
 المجلات النسائية المشهورة ، والذى لم يتدهور الا قليلا من جراء

الشراب ، ومن جراء السهر ، الا أن تلك المجالات لم تظهر محاسنها الخفية ، ولا يديها الرقيقتين الصغيرتين . واذا نظر ورأى ابتسامتها اللطيفة الممهودة ، شعر بالموت يأتى ثانية . وفى هذه المرة لم يكن نى عجلة من أمره . كان نفخة هواء كالريح الذى يمايل الشمعة ويطيبل شعلتها .

— يسكنهم أن يحضروا شبكتى فيما بعد ويلقوها من الأشجار ويوقدوا النيران . انى لن أدخل الى الخيمة هذه الليلة . لا يستحق الأمر عناء الانتقال . انها ليلة صافية . ولن يسقط المطر .

اذن ... فهكذا تموت ، وسط همسات لا تسمعها . حسن ، لن يكون هناك مزيد من الشجار . ان بوسعه أن يعد بذلك . انه لن يفسد الآن التجربة الوحيدة التى لم يمر بها أبدا من قبل . قد ينجح فى ذلك . انه قد أقسد كل شئ . ولكن ... ربما ينجح هذه المرة .

— هل يمكنك أن تكتبى ما أمليه ؟

قالت : انى لم أتعلم ذلك من قبل .

— لا عليك .

ليس هناك متسع من الوقت طبعاً ، ولو أن الأمر يبدو واضحاً لدرجة قد يمكنك معها أن تضعه كله فى فقرة واحدة اذا أمكنك أن تجد صياغتها .

كان هناك بيت من كتل الأخشاب ملطخ هنا وهناك بالمونة البيضاء قائم على تل أعلى البحيرة . وكان ثمة جرس مقام على عسود

خشبي الى جوار الباب لدعوة الناس الى تناول الطعام . وخلف المنزل تقع الحقول وخلف الحقول الأشجار التى يؤخذ منها الخشب . وثمة صف من شجر الحور اللومباردى يستد من المنزل حتى الرفأة . وأشجار حور أخرى على طول التتوء البحرى . وثمة طريق يصل الى التلال على طول حافة الأشجار ، وكان يقطف الفراولة البرية من ذلك الطريق . ثم حدث أن احترق ذلك البيت الخشبي ، واحترقت كل البنادق التى كانت معلقة على الرفوف المصنوعة من أقدام الغزلان فوق المدفأة المكشوفة ، وبعد ذلك أصبحت مواشير البنادق — والرصاص ذائب فى خزاناتها وكعوبها محترقة تماما — ملقاة على كومة الرماد الذى كان يستخدم كقلوى لصناعة الصابون فى الغلايات الحديدية الكبيرة ، وسألت جدك اذا كان يمكنك أخذها لتلعب بها فقال كلا . أترى ، انها كانت لا تزال بنادقه ، ولم يشتتر أى ننادق أخرى غيرها ، كما أنه لم يعد بضطاد بعدها أبدا . وأعيد بناء المنزل فى نفس موقعه من العروق الخشبية هذه المرة ، وطلّى باللون الأبيض ، ومن شرفته يرى المرء أشجار الحور ووراءها البحيرة ، ولكن لم تكن هناك بنادق أخرى بعد ذلك . وأنضحت خزانات البنادق التى كانت معلقة على أقدام الغزلان على الحائط فى المنزل الخشبي القديم راقدة هناك على كومة الرماد ولم يلبسها أحد قط .

وبعد الحرب ، فى الغابة السوداء ، قمنا باستشجار شديد يزخ بأسمك الأطروط . وكان ثمة طريقان للوصول اليه ، أولهما من

الوادى عند « ترايبورج » الى طريق جانبى يصعد فى الجبال
مرورا بكثير من المزارع الصغيرة ذات البيوت التى يشتهر بها
الريف الألماني ، الى أن يفضى الى الغدير ، حيث يبدأ صيدنا .
والطريق الثانى يمر من حافة الغابة الى أعلى التلال من خلال غابات
الصنوبر ، خروجاً الى حافة المرج الى الجسر . وكانت هنالك
أشجار سندير على طول الغدير ، الذى لم يكن كبيراً بل كان ضيقاً ،
صافياً ، جارياً ، مكوناً بحيرات فى الأمكنة التى ضربت فيها جذور
الأشجار . وكان موسم الصيد طيباً بالنسبة لصاحب الفندق فى
« ترايبورج » . كان كل شئ بهيجاً وكنا جميعاً أصدقاء حميمين .
وفى العام التالى جاء التضخم ولم يكف المال الذى ربحه صاحب
الفندق فى العام الذى قبله لشراء التجهيزات اللازمة لفتح الفندق
فشقق نفسه .

بإمكانك أن تتلى هذا ولكن ليس بإمكانك أن تتلى مشاهد
ميدان « كوتتر سكارب » ، فى باريس ، حيث بائعو الأزهار
يصبغون أزهارهم فى الطريق وتسيل الصبغة على الرصيف عند
رأس خط الأوتوبيس ، والشيوخ والعجائز سكارى على الدوام
بالنيبيذ وبالبراندى الردى ، والأطفال سائلة أنوفهم فى البرد ،
ورائحة العرق النتن والفاقة والسكر فى مقهى « أما تيرز » ،
والعاهرات فى مرقص « ميزيت » الذى كانا يقسمان أعلاه . وبوابة
المبنى التى احتفت بجندى الحرس الجمهورى فى شقتها ، وخلع
عنه خوذه ذات الريش المصنوع من شعر الجياد ووضعها على

الكرسى . ونزيلة الحجره التى تقع فى آخر الصالة ، الذى يعمل
زوجها فى سباق الدراجات ، وفرحتها ذلك الصباح فى محل
الألبان حين فتحت صحيفة « الأوتو » ووجدت أنه قد حاز المرتبة
الثالثة فى سباق « باريس - تور » ، أول سباق كبير يشترك فيه ،
وتورد وجهها وضحكت ثم صعدت الى الطابق العلوى تصيح وهى
تمسك الصحيفة الرياضية الصفراء فى يدها . وزوج السيدة التى
تدير مرقص ميزيت ، ويعمل سائقاً للتاكسى ، وحين كان يتعين
عليه هو ، « هارى » ، اللحاق بطائرة الصباح الباكر ، طرقت عليه
الزوج الباب لايقاظه وشرب كلاهما كأساً من النبيذ الأبيض عند
حوض البار قبل أن ينطلقا الى المطار . كان يعرف كل جيرانه فى
ذلك الحى آنذاك ، لأنهم كانوا جميعهم فقراء .

وكان قاطنو ذلك الميدان ينقسمون الى فئتين : السكارى ،
والرياضيون . فالسكارى يقتلون فاقتمهم عن طريق الشراب ،
والرياضيون يستهلكونها فى الرياضة . كانوا سلالة أهل « كوميون
باريس » ، ولم يكن صعباً عليهم معرفة أين ينازرون فى السياسة
كانوا يعرفون من اغتال آباءهم وأقاربهم وأخوانهم وأصدقاءهم
حين جاءت قوات « فرساي » واحتلت المدينة بعد « الكوميون »
وأعدمت كل شخص وجدته متورم اليدين أو يرتدى قلنسوة ،
أو يحمل أية علامة أخرى تم على أنه عامل وفى هذه الفاقة ، وفى
ذلك الحى المجاور لجزارة « شفالين » وبقالة النبيذ ، قام بكتابه
خطة كل ماسوف يكتبه بعد ذلك . لم يكن هناك مكان فى باريس

أحبه مثل هذا المكان : الأشجار المنبسطة فى غير نظام ، البيوت البيضاء العتيقة المكسوة بالجص والمطلى أسفلها باللون البنى ، والصف الأخضر الطويل من الأتوبيسات فى ذلك الميدان ، وصبة الأزهار الأرجوانية على الرصيف ، والانحدار المفاجئ للتل عند شارع « الكاردينال ليموان » نحو نهر « السين » ، وفى الناحية الأخرى العالم الضيق المزدهم لشارع « موقتار » . وذلك الطريق الذى يفضى الى « الباثيون » والآخر الذى كان يقطعه دوماً بالدراجة - الوحيد المغطى بالأسفلت فى ذلك الحى ، الذى يبسط مبهداً تحت عجلات الكاوتشوك - بنازله الطويلة الضيقة . والفندق الرخيص العالى الذى مات فيه الشاعر « بول فرلين » . كانت الشقة التى يعيشان فيها لا تحتوى الا على غرفتين فقط ، وكانت لديه غرفة فى الطابق العلوى من ذلك الفندق يدفع فيها ستين فرنكاً فى الشهر ، حيث كان يكتب ، وبوسعه أن يرى منها أسطح باريس ومدآخنها وكل تلالها .

أما فى الشنتة فلا يسكك سوى رؤية العابة ومحل بائع الفحم . وكان يبيع النيذ أيضاً ، النيذ الردىء .. ورأس الحصان الذهبى خارج جزيرة « شيفالين » حيث للحوم حمراء وذهبية معلقة فى الفترنة المكشوفة ، ومحل البقالة المطلى بالأخضر حيث كانوا يشترون نبيذهم ، نبيذ جيد ورخيص . وما بقى بعد ذلك فهو الحدران المطية بالجص ونوافذ الجيران . الجيران الذين يفتحون نوافذهم ويأخذون فى المهمة حين يستلقى أحدهم سكرانا بالليل

ثن ويتوجع فى تلك الحالة من الشالة الفرنسية المشهورة التى كانوا يحاولون قبل ذلك أن يجعلوك تعتقد أنها لا توجد أبدا . يسهمون : « أين رجل الشرطة ؟ حين لا نريده يكون دائماً واقفاً هناك انه ينام فى أحد الفنادق . أتصلوا بقسم الشرطة » . الى أن يلقي أحدهم جردل ماء من احدى النوافذ فيتوقف الأثنين . « ماهذا ؟ ماء ؟ هذا عظيم ! » وتطلق النوافذ . « ومارى » ، الخادمة ، تحتج على يوم العملذى الثمانى ساعات بدلا من التسع ساعات فتقول : « اذا كان الزوج يعمل حتى السادسة مساء ، فانه لا يشمل الا قليلا عند عودته الى المنزل ولا يضع تقودا كثيرة . أما اذا عمل حتى الخامسة مساء فقط فانه سيسرب كل ليلة ولن يتبقى معه أية تقود . ان الزوجة هى التى ستعانى حقيقة من تقصير ساعات العمل » .

وكانت المرأة تسأله الآن ، هنا ، فى افريقيا :

— هل تحب أن تتناول مزيداً من المرق ؟

— كلا ، وشكراً جزيلاً . انه لذيذ للغاية .

— حاول أن تشرب قليلاً .

— انى أفضل تناول بعض الويسكى بالصودا .

— انه ليس مناسباً لصحتك .

— كلا ، انه ضار بى . لقد كتب « كول بورتر » كلمات

الأغنية وموسيقاها ، بأنك ستجنين بى غراما .

— انك تعرف أنى أحب أن أدعك تشرب كما يحلو لك .

— أوه ، أجل ، إلا أنه ضار بي .

وجال في فكره : حين تذهب ، سأفعل ما يحلو لي لا كل ما يحلو لي بل كل ما هو موجود . آه . . لقد كان متعبا . متعبا جدا . سوف ينام بعض الوقت . ورقد ساكنا ، ولم يكن المسوت موجودا . لا بد أنه ذهب الى مكان آخر . انه يتجول اثنين اثنين ، بالدراجات ، وفي صمت شديد ، فوق الأرضفة .

كلا ، انه لم يكتب أبدا عن باريس . ليس باريس التي يجبها . ولكن . . ماذا عن بقية الأشياء التي لم يكتب عنها أبدا ؟ ماذا عن المزرعة ، واللون الرمادي الفضي لشجرة « المريمية » ، والمياه الرقاقة السريعة في قنوات الري ، واخضرار البرسيم القائم ، ويمضي الطريق صعدا في التلال . والماشية في الصيف خجولة كالغزلان . والثغاء ، والوضوء المنتظمة ، والكتلة البطيئة التحرك تثير غبارا والقطيع يهبط في الخريف . وخلف الجبال ، ووضوح التمة الحاد على ضوء الماء ، والهبوط ركوبا بمحاذاة خط القطار في ضوء القمر الباهر عبر الوادي . وتذكر الآن الهبوط عبر الأشجار في وسط الظلمة مسكا بذيل الحصان حين لم يسكن باستطاعته الرؤية ، وكل القصص التي اتوى أن يكتبها .

عن الصبي الشغال نصف المعتوه الذي تركوه في المزرعة ذلك الوقت وقالوا له أن يحرس التبن ، وذلك الوغد العجوز من « فوركس » الذي ضرب الصبي عندما حاول منعه من سرقة بعض العلف . ورفض الصبي وقول العجوز أنه سيضربه ثانية . وأحضر

الصبي بندقية من المطبخ وأطلق عليه النار حين حاول الدخول الى المخزن . وحين عادوا الى المزرعة كان قد مضى أسبوع على العجوز وهو ميت ، وقد تجمد جسده في حظيرة المواشي ، والكلاب قد أكلت أجزاء من جثته . وجمعت أنت ماتبقى ، ملفوفا في ملاءة ووضعته على زحافة وربطته عليها بالحبال وجعلت الصبي يساعذك في جرها ، واصطحبتوها اتما الاثنان وقطعتما الطريق على زلاجات الجليد ستين ميلا الى المدينة لتسليم الصبي وهو لم تكن لديه فكرة أنهم سيقبضون عليه . يظن أنه قد أدى واجبه وأنت صديقه وأنهم سيكافئونه على ما فعل . وهو قد ساعد على جر جثة العجوز حتى يعرف كل شخص كيف كان العجوز شريفا وكيف أنه حاول سرقة بعض العلف الذي لا يخصه ، وحين وضع الضابط القيود في يدي الصبي لم يصدق عينيه ، ثم أخذ في البكاء . هذه قصة ادخراها كيما يكتبها . كان يعرف عشرين قصة جيدة على الأقل من تلك الأيام . ولكنه لم يكتب أبدا واحدة منها . لماذا ؟

قال : قولي لهم أنت لماذا ؟

.. لماذا ماذا يا عزيزي ؟

— لماذا لا شيء .

انها لم تكن تفرط في الشراب ، الآن ، منذ أن استولت عليه . ولكنه ان عاش فلن يكتب عنها أبدا ، انه متأكد الان من ذلك . ولا عن أي منهن . فالثريرات مفجرات ويفرطن في الشراب ، أو هن يدمن لعب الطاولة . انهن مضجرات ويكررن أنفسهن . وتذكر

« جوليان » المسكين ورعبه الرومانسى من الأثرياء وكيف أنه بدأ مرة قصة بقوله : « ان المفرطين فى الثراء يختلفون عنى وعنك » . وكيف أن أحدهم قال لجوليان : « أجل ، فانهم يملكون نقودا أكثر » . ولكن هذا لم يرق لجوليان . كان يعتقد أنهم جنس خاص فائن ، وحين اكتشف أنهم ليسوا كذلك حطمه ذلك الاكتشاف مثلما حطمه أى شىء آخر .

لقد كان يحترق أولئك الذين يتحطمون . ليس على المرء أن يجب الأمور لأنه يفهمها . لقد آمن أن بإمكانه أن يقهر أى شىء ، لأنه مامن شىء أصابه بالأذى لو أنه لم يكن يهتم به . حسن . الآن لمن يهتم بالموت . انه الشىء الوحيد الذى أحس بالخشية منه دائما هو الألم . ان بوسعه احتمال الألم ككل رجل آخر ، الا اذا استمر مدة طويلة وأضناه ، ولكن هنا ، كان ثمة شىء يؤلمه أشد الألم ، وعندما أحس به يحطمه تحطيمًا ، توقف الألم .

وتذكر منذ زمان طويل حين أصيب « ويليامسون » ، ضابط المدفعية ، بقنبلة يدوية ألقتها أحد أفراد دورية المانية ، حين كانت عبر الأسلاك الشائكة ، وتضرع للجميع وهو يصرخ أن يقتلوا كان رجلا بدينا ، عظيم الشجاعة ، وضابطا ماهرا ، رغم أنه يدا التهويل فى الأمور . ولكنه فى تلك الليلة أصيب وهو بين الأسلاك الشائكة ، وشعلة من النار تضئيه ، وأمعأؤه مدلاه على الأسلاك ، ولذلك فانهم كى يحملوه اضطروا الى قص الأسلاك حتى يخلصوه منها . وصاح بى : اطلق النار على يا « هارى » . بحق المسيح

اقتلتنى . وكانوا قد تناقشوا مرة بأن الله لا يمكن أن يقول بأحد مصيبة الا فى حدود احتماله ، وكانت نظرية أحدهم أن تفسير ذلك هو أنه أحيانا يصيب الألم الشديد صاحبه بالاغماء بطريقة آلية فلا يشعر بشىء بعد ذلك . ولكنه دائما كان يتذكر « ويليامسون » فى تلك الليلة ، اذ أنه لم يصب بالاغماء ، الى أن أعطاه كل مالمديه من أقرص المورفين التى ادخرها لنفسه ، وحتى حينذاك فانها لم تؤد مفعولها على نحو فورى .

وحتى ما يحدث الآن ، ما يمر به ، كان هينا جدا . واذا لم يتدهور الحال مع مرور الوقت فلا ثمة داع للقلق . عدا أنه كان يفضل رقة أفضل . وفكر برهة فى الرقة التى يود أن تكون معه . وجال بخاطره : كلا ، اذا كان كل ماتقوم به تنجزه فى مدة طويلة جدا ، وفى وقت متأخر جدا ، فلا يمكن لك أن تتوقع أن يكون الناس مازالوا فى انتظارك . لقد رحل الناس جميعا ، انتهى الحفل ، وأنت الآن وحدك مع مضيفتك وجال فى خاطره : انتى أحسن بالملل وأنا أموت كما أحسست دائما مع كل شىء آخر .

قال بصوت مرتفع . انه شىء معل .

— ماذا يا عزيزى ؟

— أى شىء يستغرق المرء وقتا طويلا فى أدائه .

وتطلع الى وجهها الذى يقوم بينه وبين النيران . كانت تضطجع الى الوراء فى المقعد وضوء النيران يلتصع على وجهها ذى القسماط اللطيفة ، وكان بوسعه أن يرى أنها غافية . وسع الصبح

يطلق أصواتا فيما وراء مجال النيران مباشرة .

قال : لقد كنت أكتب ، ولكنى تعبت .

— هل تعتقد أن بوسعك أن تنام ؟

— بالتأكيد . لماذا لا تأوين الى فراشك ؟

— أحب أن أجلس هنا معك .

سألها : هل تحسبن بأى شىء غريب ؟

— كلا . انتى نعامانة ليس الا .

قال : أما أنا فأشعر بشىء غريب .

كان قد شعر لتوه بالموت يأتى مرة أخرى .

• قال لها : أتعلمين ، ان الشىء الذى لم أفقده أبدا هو حب

الاستطلاع .

— انك لم تفقد أى شىء مطلقا . انك أكثر من عرفت كمالا .

قال : يا الهى . ما أقل ماتعرف النساء ! ماهذا ؟ حدسك ؟

ذلك أنه فى تلك اللحظة حضر الموت وأرسى رأسه على قدم

المحفة . وكان بوسعه أن يشم أنفاسه .

وتحرك فوقه الآن ، ولكنه لم يعد له أى شكل بعد . كان يشغل

حيزا وحسب .

— قولى له أن يرحل .

ولكنه لم يرحل بل اقترب منه .

قال له : ان أنفاسك تحرقنى ، أنت أيها اللعين .

واقترب منه أكثر فأكثر ، ولم يستطع الآن أن يتحدث اليه ،

وحين أدرك أنه لا يستطيع الكلام اقترب منه أكثر ، وحاول الآن

أن يزيحه عنه دون أن يتحدث ، ولكنه تحرك فجُم عليه حتى

أصبح كل ثقله على صدره ، واذ هو جاثم عليه وهو لا يستطيع

الحركة أو الكلام ، سمع المرأة تقول : « السيد نائم الآن .

أصلوا المحفة برفق وادخلوها الى الخيمة » .

ولم يستطع أن يتكلم كى يقول لها أن تجعله يرحل عنه ،

وكان الآن جاثما بثقل أكبر حتى أنه يسمعه عن التنفس . وحينئذ ،

وحين كان الصبيان يرفعان المحفة ، استقام الحال فجأة وانزاح

العباء الذى كان جاثما فوق صدره .

كان الوقت نهارا ، والصبح قد طلع منذ فترة ، وسمع صوت

الطائرة . وظهرت صغيرة جدا ثم دارت دورة عريضة وجرى الصبية

وأوقدوا النيران ، مستخدمين الكيروسين ، كوموا الحشائش

كعلامات حتى أصبح هناك صفان كبيران فى كل ناحية من المكان

المهد ، واطارتها نسمة الصباح نحو المخيم . ودارت الطائرة

دورتين أخرىين ، خفيضة هذه المرة ، ثم انسابت هابطة واستقامت

وهبطت فى سلاسة . ثم هاهو « كومبتون » المعجوز يأتى ماشيا

تجاهه مرتديا بنظالا عليه سترة من التويد وقبعة بنية من اللباد .

قال « كومبتون » : ما الأمر أيها الديك المعجوز ؟

قال له : ساق معطوبة . هل لك فى بعض الفطور ؟

— شكرا . سأتناول بعض الشاى فحسب . لن آتسكن مسن

اصطحاب السيدة . ليس هناك مكان الا لشخص واحد . ان

شاحتك في الطريق •

واتحت الزوجة « كومتون » جانبا وطفقت تتحدث اليه •
وعاد « كومتون » وقد زاد اثراحه •
قال : سندخلك اليها على مايرام • وسوف أعود لاصطحب
السيدة • والآن فاني أخشى أنه يتعين علينا الوقوف في « أروشا »
للتزود بالوقود • يحسن بنا أن نسرع •

— والشاى ؟

— لا يهم •

ورفع الصبية المحفة وحملوها حول الخيمات الخضراء وعبر
الصخرة وخرجوا بها الى السهل وعلى طول صفوف العلامات
التي كانت الآن تشتمل متوهجة وقد التهمت النار كل الحشائش ،
والهواء يروح عليها ، الى أن وصلوا الى الطائرة الصغيرة • وكان
من الصعب ادخاله اليها ، ولكن ما أن دخل حتى اضطجع على
المقعد الجندى ، وبرزت الساق المطوية من أحد جانبي المقعد
حيث يجلس « كومتون » وأدار « كومتون » المحرك ودلف الى
مكانه • ولوح مودعا زوجته والصبية • واذا تحول الضجيج الى
الزفير المعهود ، مالا جانبا « وكومتون » يراقب الحفر التي
تحفرها الخنازير البرية فى الأرض ، وزارت الطائرة وارتجت على
طول المر بين النيران وارتفعت مع آخر رجة • وشاهدتهم جميعا
يقفون أسفل منه ، يلوحون بأذرعتهم ، والمخيم الى جوار التل ،
منبسط الآن ، فى حين تمتد آثار الحيوانات الآن فى سلاسة حتى

المستنقعات الجافة ، وكان ثمة حياة جديدة لم يرها أبدا من قبل •
والآن •• ظهور الحمر الوحشية المستديرة الصغيرة ، والتياثل ،
تقاطا كبيرة الرأس تبدو وكأنها تتسلق اذ هي تتحرك فى خطوط
طويلة تجاه السهل ، تتفرق الآن اذ الظل يرتفع فى اتجاههما ، فهى
صغيرة الان ، وحركتها ليس بها أى ركض ، والسهل منبسط
على مشارف البصر ، رمادى أصفى الان ، وأمامه ظهر « كومتون »
المعجوز التويدى والقبعة البنية اللبادية • ثم أشرفا على أول التلال
والتياثل تنساب مصعدة فوقها ، ثم حلقا فوق جبال ذات أعماق •
وحيثذ ، بدلا من الذهاب تجاه « أروشا » ، انحرفا يسارا ،
فاستنتج أن فى الوقود بقية ، ورأى حين نظر تحته سحابة وردية
اللون مليئة بالثقوب ، تتحرك فوق الأرض ، وفى الهواء ، كندف
الثلج التي تنذر بعاصفة جليدية ، تأتي من لا مكان : وعرف
أنها جحافل الجراد الذى يأتي من الجنوب • ثم أخذوا يصعدان
وتجهان نحو الشرق فيما يبدو ، ثم أظلم الجو ودخلا فى عاصفة ،
والمطر كثيف فكأنما يطيران فوق شلال ، ثم خرجا منها وأدار
« كومتون » رأسه وابتمس وأشار بيده • وهناك ، أمامه ، كان
كل ما يستطيع أن يرى ، عريضا عرض الدنيا بحالها ، عظيما ،
سامقا ، ناصع البياض فى الشمس الى درجة لا تصدق • القمة
الرباعية لجبل « كليمنجارو » • وحيثذ عرف أنه ذاهب الى ذلك
المكان •

وعند ذاك فحسب توقف الضبع عن الخوار فى الليل وبدأ يصدر

صوتا غريبا بشريا يقترب من البكاء • وسمعتة المرأة وتحركت
فى قلق • ولم تستيقظ • ورات نفسها فى الحلم فى بيتها فى
« لونح ايلاند » بولاية نيويورك ، فى الليلة التى تسبق ظهور
ابنتها على المسرح لأول مرة • وبطريقة ما ، كان والدها حاضرا ،
وكان جافا جدا معها • ثم تعالى ضجيج الضبع الى درجة أيقظتها ،
وللحظة لم تدر أين هى واتبها خوف شديد ، ثم تناولت البطارية
وسلّط ضوءها على المحفة الأخرى التى أدخلوها الى الخيمة بعد
أز استغرق « هارى » فى النوم • كان بوسعها أن ترى هيئته
تحت حاجز الناموسية ، ولكن ساقه كانت بارزة على نحو ما
ومعلقة على طرف المحفة • وكانت الضمادات قد سقطت كلها ولم
يكن باستطاعتها أن تنظر اليها •

صاحت : ياغلام ! ياغلام ! ياغلام !

ثم قالت : « هارى » ، « هارى » !

ثم ارتفع صوتها صائحا : « هارى » ! أرجوك ! آه يا «هارى»؟

ولم يكن ثمة جواب • ولم يكن بوسعها أن تسمعه يتنفس •

وخارج الخيمة كان الضبع يطلق نفس الضجيج الغريب الذى

أيقظها • ولكنها لم تسمعه لأن صوت دقات قلبها كان يعلو عليه •

((تهت))